موسى عليه السلام قبل بعثته

(دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم)

د/ محمد عطا أحمد يوسف*

* أستاذ مساعد بكلية التربية للبنات – القسم الأدبي – حفر الباطن – المملكة العربية السعودية.

ملخص البحث:

لايوجد فى قصة موسى فى القرآن ذكر لأسماء أشخاص سوى شخصين اثنين هما: موسى وهارون عليهما السلام، وأما فى العهد القديم: فقد ذكرت أسماء كثيرة، منها: آباء موسى عليهم السلام، واسم أمه، وأخته، وأخيه، وفى ذلك دلالة على أن القرآن يقصد دوما الوصول إلى العبرة والعظة، على عكس العهد القديم.

وفى العهد القديم تفصيل وبيان لكيفية تنفيذ الأمر الفرعونى الجائر بذبح ذكور بنى إسرائيل واستحياء نسائهم، وأما فى القرآن الكريم فقد أشارت بعض الآيات فى سورتى البقرة، وإبراهيم إلى مسألة الأمر الفرعونى بالذبح دونما الدخول فى تفاصيل ذلك.

وتخلو روايات العهد القديم – تماماً – من الحديث عن الوحى الإلهى لأم موسى عليه السلام، وبذلك أغفلت الجانب الإيمانى فى حياتها، بل لانجد أى إشارة ببشارتها بنبوة ابنها، وكان لسيطرة الروح المادية لكاتب روايات العهد القديم أثرها، فصرنا لانجد لها أى صدى للقدرة الإلهية فى حفظ موسى عليه السلام أو توجيه أمه، وكذلك اختصرت روايات العهد القديم – على غير العادة – دور أخت موسى عليه السلام مع عدم تبرير للعلاقة المفاجئة التى ظهرت بينها وبين ابنة فرعون، مع التفصيل والتضخيم لدور الأخيرة.

ومن ناحية أخرى لانجد دوراً ولا ذكراً لامرأة فرعون فى حياة موسى عليه السلام فى العهد القديم، وإنما تم تبديل هذا الدور وتحويره وتحريفه ونسبته لابنة فرعون، بدلا من زوجته!

وأما فى القرآن الكريم فقد أبرزت الآيات القرآنية القدرة الإلهية فى توجيه أم موسى عليه السلام فى كل خطوة من خطواتها، وبخاصة فى مسألة إخفاء موسى عليه السلام، لإنجائه من الأمر الفرعونى بالذبح، ولذلك كانت الروح الإيمانية، والإذعان لله رب العالمين من أهم صفات أم موسى عليه السلام فى هذه المسألة، ونص القرآن على البشارة الإلهية بنبوة موسى عليه السلام،

وإرساله إلى بنى إسرائيل، كما وصف القرآن الكريم أخت موسى بصفات الدقة والمهارة واللباقة فى حفظ أخيها موسى؛ لتكون سببا من أسباب نجاته.

وفى القرآن الكريم – أيضاً – نجد دوراً بارزاً لزوجة فرعون فى إبقاء موسى عليه السلام فى حضانتها وطلب المرضعات له فى قصر فرعون، واتخاذه ولداً، وكان ذلك سبباً من أسباب نجاته من بطش فرعون.

أما عقدة اللسان: فقد اتفق القرآن مع العهد القديم على وجودها، وإنما الخلاف فى سببها، ومع أننا لانجد فى العهد القديم، ولا فى القرآن، الكريم، بل ولا فى صحيح السنة ذكراً لسبب هذه العقدة.

- وأما قتل موسى للقبطي – خطأ – فإن هذا الحدث وقع قبل النبوة، لابعدها، وقد ذكرنا من الأدلة ما يؤكد ذلك.
- إن موسى عليه السلام عاش فى قصر فرعون منذ طفولته حتى شبابه، ولكنه فى نهاية شبابه كان قد ضاق ذرعاً بما رآه من ظلم وبطش فى قصر فرعون، فأخذ يهجر القصر رويداً رويداً، ويتصل بالعبرانيين من بنى قومه.
- لم يعمد موسى إلى قتل هذا القبطى، وما نوى عليه، ولاخطط له، وإنما وكزه ليمنعه من الشجار، فكان حتفه فى هذه الوكزة. وهذا من الابتلاء والفتون التى فتن الله بها موسى عليه السلام.
- وفى القرآن، بيان لنتيجة هذا الابتلاء على شخصية موسى عليه السلام، فهى الشخصية الخائفة المتضرعة المستغفرة لله سبحانه وتعالى، وهنا لابد من الإشارة إلى ماورد فى العهد القديم من تحريف وتبديل فى تصوير شخصية موسى عليه السلام – وهو كليم الله – فقد صورته بالشخصية الماكرة الانتهازية التى تخطط للجريمة وتخفيها بعد ارتكابها، دونما اكتراث أو خوف من الله سبحانه وتعالى، أو حتى ندم على ما فعل، وإنما ادعى كاتب العهد القديم على موسى – كذباً – أنه (طمر القبطي فى الرمل بعد قتله).
وكان موسى يتطلع لنصرة قومه المظلومين فى حكم فرعون.

أما بعد هجرته إلى مدين: فإننا نرى موسى عليه السلام قد من الله عليه

بعد الخوف بالأمن، وبعد الفقر بالغنى، وبعد الوحدة بالزوجة الصالحة، وبعد الحياة المليئة بالترقب والقلق بحياة هادئة في جوار الرجل الصالح والد زوجته.

إن المقارنة بين آيات القرآن الكريم وروايات العهد القديم كشفت عما فى روايات العهد القديم من تناقض فى حديثها عن كاهن مدين، وعن بناته وعددهن، وموقفهن من موسى عليه السلام، وبينت كذلك ضعف كثير من الروايات التى وردت فى كتب التفسير والتاريخ حول قوة موسى البدنية فى سقياه لغنم المرأتين، وكذلك تمحل الأسباب المظهرة لأمانته عليه السلام، وبينا أن شخصية موسى عليه السلام – الذى قال عنه ربه: (ولتصنع على عينى) – لاتحتاج إلى كل هذه المبالغات.

المقدمة:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الد ين.

وبعد،،،

من أولي العزم من الرسل: موسى عليه السلام، بعثه الله إلى بنى إسرائيل ليبعث فيهم روح العزة والإباء بعد المذلة والاستخذاء، ويخرجهم من قهر فرعون وعبوديته إلى عبودية الواحد الأحد؛ بعد أن أضاعوا تعاليم السابقين من أنبيائهم.

ولهذا حظي موسى عليه السلام – كغيره من أنبياء الله – فى القرآن بالتكريم والتبجيل، بل كان عليه السلام من أكثر الأنبياء فى القرآن ذكرا، وكانت قصة جهاده ضد فرعون من ناحية، وضد اعوجاج الفطرة الذى أصاب بنى إسرائيل من ناحية أخرى من أكثر القصص تناولا فى القرآن، فقد تناولها بالتفصيل تارة وبالاختصار والإجمال تارة أخرى.

وترتب على هذا التناول أن أفرط بعض المفسرين للقرآن فى ذكر تفاصيل قصة موسى عليه السلام وذكر دقائقها، فتناولوها منذ ولادته – بل وقبل ولادته – واستمروا بها حتى وفاته، ومنهم من أكملها بما وقع لبنى إسرائيل من أحداث حتى بعد وفاته.

ومن الباحثين من تناول قصة موسى عليه السلام ضمن التصنيف فى قصص الأنبياء، كابن كثير قديما، والدكتور / عبد الوهاب النجار، والدكتور طه وادى والأستاذ / عفيف طبارة[1]، وغيرهم حديثا.

---

(١) قصص الأنبياء – لابن كثير – تحقيق د/ السيد الجميلي – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٤١٠هـ، وقصص الأنبياء – د/عبد الوهاب النجار – دار التراث – مصر – ١٩٧٨م، وأولو العزم من الرسل – د/طه وادي – دار النشر للجامعات – مصر – الطبعة الثانية – ١٤١٨هـ، ومع الأنبياء فى القرآن الكريم – د/عفيف عبد الفتاح طبارة – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ١٩٨٥م.

ومنهم: من أفرد قصة موسى عليه السلام بالتأليف مثل الدكتور نواف الحليسى فى كتابه: (منهج التخطيط الإداري فى قصة نبى الله موسى عليه السلام)[٢].

وفى العهد القديم – وهو كتاب اليهود تمييزاً له عن كتاب النصارى المسمى بـ العهد الجديد – نجد من بينها سفر الخروج الذى يعرض فى صفحاته حياة موسى عليه السلام منذ ولادته حتى خروجه ببنى إسرائيل من مصر إلخ)[٣].

وهذا البحث لانريد أن نكرر فيه ما قاله السابقون فى قصة موسى عليه السلام، وإنما نهدف منه إلى أمرين:

الأمر الأول: الاقتصار على المرحلة الأولى من حياة موسى عليه السلام (من ولادته حتى زواجه) أى حياته قبل بعثته، وهى مرحلة على الرغم من قصرها إلا أنها غنية بالأحداث الغريبة التى تكشف بصورة جلية عن القدرة الإلهية فى تولى أمر هذا النبى الكريم من لحظة الحمل به حتى يتهيأ لتلقى الرسالة الإلهية، وكانت هذه الأحداث لغرابتها بمثابة النافذة التى جلب منها بعض المفسرين، والمؤرخين كثيراً من الروايات الضعيفة والإسرائيليات العجيبة ليفسروا بها الآيات القرآنية التى تناولت قصة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم، ولينسجوا القصة من خلالها حسب رؤاهم، ويهدف هذا البحث إلى بيان مثل هذه الروايات والإسرائيليات.

و**الأمر الثانى:** المقارنة بين ما ورد فى العهد القديم من روايات فى سفر

---

(٢) منهج التخطيط الإداري فى قصة نبى الله موسى عليه السلام – د/نواف الحليسى – إدارة البحوث العلمية – الرياض – ١٤١٧هـ.

(٣) العهد القديم ثلاثة أقسام رئيسة هى: التوراة، والأنبياء والمكتوبات، والقسم الأول منها وهو التوراة يضم خمسة أسفار. راجع دراسة الكتب المقدسة فى ضوء العلم الحديث ص ٢٦ – ٣١ – دار المعارف – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٧٧م والإسرائيليات فى تفسير الطبري – د/آمال ربيع – ص ٦٦ – ٧٤ – دار الثقافة العربية – القاهرة – ١٤٢٠هـ (بتصرف).

الخروج حول هذه المرحلة، وبين ماورد بشأنها فى آيات القرآن الكريم، ولانهدف من خلال هذه المقارنة إلى زيادة التصديق للقرآن، أو اليقين بما جاء فيه عن موسى عليه السلام، فهذا أمر لسنا ولا المسلمون فى حاجة إلى بيانه من خلال بحث كهذا؛ ولأن القرآن الكريم يحمل فى آياته دلائل صدقه فيما أخبر، وإعجازه فيما تحدث، وإحكامه فيما شرع.

ولكننا أردنا أن نبين – من خلال هذه المقارنة – ما عبثت به يد التحريف والتبديل والمغالطة، بل والحذف والإخفاء، فى العهد القديم، وذلك فى أخص خصائص الديانة اليهودية، وهو حياة نبيهم موسى عليه السلام – حتى وإن قيل: إن اليهود قد سبقونا فى نقد كتبهم، وبيان ما فيها من تحريف وتبديل ومغالطات(٤).

فإننا نقول: إنهم فعلوا ذلك بسوء نية، وخبث طوية، لأنهم لم يقصدوا الوصول من نقدهم هذا إلى الحق، وإنما قصدوا قطع الطريق على كل باحث جاد يحاول كشف ما فى كتابهم من زيف وتحريف بدعوى أنهم سابقوه لذلك، فلا جدوى لما يفعله غيرهم، ومن هنا كانت هذه المقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم فى قصة موسى عليه السلام، وبخاصة فى هذه المرحلة، لالنبين ما أصابها من زيف وتحريف على يد كتبة العهد القديم فحسب، وإنما لنضع أيدينا أيضا على المصدر الأول لتسرب الإسرائيليات إلى تراثنا الإسلامى من خلال ما نقله بعض المفسرين عن هذا الكتاب وبثوه فى تفاسيرهم، ولذلك فكان من مقاصد هذا البحث – أيضا – أن نزيح هذا الركام من القصص الإسرائيلى الذى نجده فى كثير من كتب التفسير والتاريخ التى تناولت هذه المرحلة من حياة نبى الله موسى عليه السلام.

وكان لابد للباحث فى هذه المرحلة بالذات أن يقف أمام صورة المجتمع

---

(٤) التوراة تاريخها وغاياتها – ترجمة وتعليق سهيل الديب – ص ٣٩، ٤٠ – دار النفائس – بيروت – لبنان – الطبعة السابعة – ١٤١٣هـ.

المصرى الذى ضم آنذاك شعبين مختلفين، هما: بنو إسرائيل المنحدرون من ذرية يوسف بن يعقوب عليه السلام وإخوته.

والمصريون، أو ما يعرفون آنذاك بالقبط.

ويأتى المبحث الأول من هذا البحث، والذى جعلته تحت عنوان (موسى عليه السلام فى مرحلة الطفولة)، وتحدثت فيه بصورة مختصرة عن المجتمع المصرى قبيل ولادة موسى عليه السلام، وتناولت فيه تكوين أسرة موسى عليه السلام، وحاله بين الحمل والولادة، ثم أحداث الولادة، ثم إلقاءه فى اليم، ثم الشخصيات التى سخرها الله سبحانه وتعالى من حوله لتتولى حفظه عليه السلام كـ (أخته، وابنة فرعون، وامرأته)، وكل ذلك من خلال المقابلة بين الآيات القرآنية، وروايات العهد القديم.

وتنقضى فترة الطفولة التى تستجلب عطف الكبار عليه، ويدخل موسى عليه السلام مرحلة الشباب والفتوة وهو فى قصر فرعون.

وأحاول فى المبحث الثانى الذى سميته (موسى عليه السلام فى قصر فرعون) أن أتناول هذه المرحلة، وما ثار حولها من أحداث وقعت من موسى عليه السلام، أهمها وأخطرها على الإطلاق قتله للمصري خطأ، وكيف صورت روايات العهد القديم هذا الحدث؟ وكيف تناولته روايات المفسرين والمؤرخين أيضا؟ وما نتج عنه من تآمر فرعون وملئه على التخلص من موسى عليه السلام بالإعداد لقتله؛ مما أدى إلى هروبه مسرعا من مصر إلى مدين.

وفى مدين يبدأ موسى عليه السلام مرحلة جديدة من مراحل حياته خصصت لها المبحث الثالث والأخير وسميته (موسى عليه السلام فى مدين) وفيه نرى موسى عليه السلام وقد من الله عليه بعد الخوف بالأمن، وبعد الفقر بالغنى، وبعد الوحدة بالزوجة الصالحة، وبعد الحياة المليئة بالترقب والقلق بحياة هادئة رضية إلى جوار الرجل الصالح حميه، ليكون ذلك أدعى للتأمل فى كون الله والاستعداد لتلقى رسالته من الله سبحانه وتعالى.

تمهيد

قبل أن نبدأ فى هذا البحث لابد لنا من وقفة مجملة حول عنوانه نتناول فيها بالبيان ما قد يثار حوله من تساؤلات:

فموسى عليه السلام هو: (موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)(٥)، وقد أثار (سيجموند فرويد) خلافا حول شخصية موسى عليه السلام، مدعياً أنه مصرى، معتمداً فى ذلك على البحث اللغوى فى لفظ (موسى) بين اللغة العبرية واللغة المصرية القديمة، غير أن كثيراً من الباحثين قام بالرد عليه فى ذلك(٦).

واختلف العلماء فى تحقيق زمنه عليه السلام، فقال بعضهم: (إنه كان معاصراً للملك تحتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦ق.م) وأن الخروج حدث فى أيام أمون حوتب الثانى (١٤٣٦ – ١٤١١ق.م)، وقال آخرون: إنه حدث فى أيام رعمسيس الثانى (١٢٩٠ – ١٢٢٣ق.م)، وقال بعضهم: إنه كان أيام منفتاح (١٢٢٣ – ١٢١١ق.م)، والراجح أن أحداث موسى عليه السلام تتفق مع عادات الأسرتين الفرعونيتين الثامنة عشر والتاسعة عشر)(٧).

كما اختلفوا فى سنه الذى بعثه الله فيه بالرسالة – والراجح أنه فى سن

---

(٥) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٣٨٧هـ (٥) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ١/ ٣٨٥.

(٦) النبي موسى ورسالة التوحيد – سيجموند فرويد ص ٢٦،٢٧ –، وص ٨٠،٨١ – ترجمة د/عبد المنعم الحفني – دار الرشاد – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ.
ورد عليه الدكتور محمد حسن خليفة فى مجلة الدراسات الشرقية فى بحث تحت عنوان (نظرة نقدية فى قضية الأصل المصري القديم لموسى عليه السلام وديانته) ص ١٨٧ – ٢٢٥ العدد الثالث – ١٩٨٥م، وفى هذا المقال ردود أخرى على ما قاله فرويد.
وراجع قاموس الكتاب المقدس د/بطرس عبد الملك وآخرون ص ٩٣٣ دار الثقافة الطبعة الثانية عشر ١٩٩٩م.

(٧) موسى فى الأساطير الإسرائيلية د/وجدي الفيشاوي – ص ١١٣ – المركز الهندسي للطباعة والنشر – مصر – الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

الأربعين – [٨] إلى بنى إسرائيل، وإلى فرعون مصر، وكان هذا الفرعون كافراً عاتياً متجبراً مدعياً – كذباً – للألوهية، ففر منه موسى عليه السلام إلى مدين فتراءى الله له بطورسيناء، وآتاه التوراة، وأمره وأخاه هارون أن يدعوا فرعون للإيمان بالله، وأن يترك بنى إسرائيل للخروج معهما إلى الأرض المقدسة التى كتب الله لهم، وبعد حوار طويل بين فرعون مصر آنذاك وبين موسى أصر فرعون على كفره وعناده، فأغرقه الله وهو يطارد موسى عليه السلام، ولم يكن فى زمن موسى سوى فرعون واحد فقط، وهو المذكور آنفا[٩].

وسيتناول هذا البحث فترة محددة من حياة موسى عليه السلام، من ولادته حتى بعثته، وسنعتمد فى ذلك على المقارنة بين ماورد فى مصدرين أساسين:

الأول: القرآن الكريم

أما تعريفه من الناحية اللغوية فقد اختلفوا فيه فقيل (هو اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله، وقيل: مشتق من القرى وهو الجمع، وقيل: سمى قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة)[١٠]، وللعلماء تعريف يقرب معناه ويميزه عن غيره، فيعرفونه بأنه: (كلام الله، المنزل على

---

(٨) قصص الأنبياء – لابن كثير ص٢٨٨ – تحقيق د/السيد الجميلي – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٤١٠هـ، وقال ابن كثير: (وهو قول الأكثرين) وقال البيضاوى: (قال فرعون لموسى "ألم نربك فينا" فى منازلنا "وليداً" طفلاً سمى به لقربه من الولادة. "ولبثت فينا من عمرك سنين" قيل: لبث فيهم ثلاثين سنة، ثم خرج إلى مدين عشر سنين، ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين، ثم بقي بعد الغرق خمسين) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ١/٢٣٤ – المطبعة التجارية الكبرى – القاهرة – د.ت.

(٩) هذه المسألة وإن اختلف العلماء فيها إلا إن ابن كثير رجح ذلك فى قصص الأنبياء ص ٣٠١ وراجع كلام ابن كثير فى هذه المسألة ص ٣٣ من هذا البحث .

(١٠) البرهان في علوم القرآن للزركشى ١/٢٧٧تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٣٩١هـ.

محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته)[١١] وله أسماء كثيرة، منها – مما يناسب بحثنا:

(الفرقان؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والمثانى؛ لأن فيه بيان قصص الكتب الماضية، فيكون البيان ثانياً للأول الذى تقدمه، فيبين الأوّلَ الثانى، وأما تسميته مصدقاً: فإنه صدق الأنبياء الماضين أو كتبهم قبل أن تغير وتبدل، وأما تسميته مهيمنا: فلأنه الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله)[١٢].

وفى القرآن عرض موسع لقصة موسى عليه السلام، ولكل مراحل حياته تقريباً، ولجهاده الطويل ضد فرعون من ناحية، وفى تربية بنى إسرائيل وقيادتهم من ناحية أخرى، على نحو ما نرى فى سورة القصص، وسورة طه، والأعراف، والأنعام، وغير ذلك.ونعتقد أن ماورد فيه من قصص بشأن الأنبياء وغيرهم هو الحق الذى لم تعبث به أيدى التحريف والتبديل؛ لحفظ الله له من ذلك، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر ٩) وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ (الكهف ١٣) وفى شأن موسى وفرعون – بصفة خاصة – قال تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ (القصص ٣) وكأن فى ذلك إيحاء بما فعله أهل الكتاب فى كتبهم من باطل بالتحريف والتبديل والإخفاء والحذف والزيادة.

والمصدر الثانى:

هو العهد القديم، وهو كتاب اليهود المسمى فى القرآن الكريم بالتوراة، وأطلقوا عليه العهد القديم؛ تمييزاً له عن العهد الجديد، وهو إنجيل النصارى، وقد وصف الدكتور محمد حسن خليفة التوراة بقوله:

---

(١١) مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ١/ ١٤ – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٩٩٦م، ومباحث فى علوم القرآن – مناع القطان – ص١٧ – مكتبة وهبة – القاهرة – الطبعة السابعة – ١٤١٠هـ.

(١٢) البرهان في علوم القرآن١/ ٢٨٠.

(العهد القديم هو كتاب اليهود المقدس، الذى يضم ثلاثة أقسام رئيسية هى: التوراة، والأنبياء، والمكتوبات، وتسميته بالعهد القديم، أو العتيق تسمية مسيحية غير مقبولة عند اليهود؛ لأن فيه إشارة إلى أن العهد المعطى لليهود عهد قديم حل محله عهد جديد معطى للأمة النصرانية، وقد ضمت الكنيسة أسفار العهد القديم إلى أسفار العهد الجديد تحت مسمى الكتاب المقدس، أما التسمية اليهودية لكتاب العهد القديم فهى "الكتاب العبرى" أو "الكتاب")[١٣].

ويقول موريس بوكاى عن الكتاب المقدس – وهو الذى يضم بين دفتيه – : العهد القديم كتاب اليهود، والعهد الجديد كتاب النصارى: (كان الكتاب المقدس، قبل أن يكون أسفاراً، تراثاً شعبياً لاسند له إلا الذاكرة، وهى العامل الوحيد الذى اعتمد عليه فى نقل الأفكار، وكان هذا التراث يغنى)[١٤].

وفيما يختص بالعهد القديم يقول: (يحتمل أن ما يرويه العهد القديم عن موسى والآباء الأولين لايتفق إلا بشكل تقريبى مع المجرى التاريخى للأحداث، ولكن الرواة كانوا يعرفون كيف يضفون الأناقة والخيال؛ حتى يربطوا بين أحداث شديدة التنوع، وقد نجحوا فى تقديم هذه الأحداث المختلفة فى شكل حكاية لما حدث فى أصل العالم والإنسان..)[١٥].

ويقول سبينوزاعن العهد القديم: (والواقع أننا نجهل تماما مؤلفي كثير من هذه الأسفار، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها، أو نشك فيهم. ومن ناحية

---

(١٣) مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم د/محمد حسن خليفة – ص ٩ مطبعة العمرانية – الجيزة – الطبعة الأولى – ١٤١٧هـ. وراجع الكتب الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د/يحيى ربيع ص ١٤،١٥ – دار الوفاء – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ.

(١٤) راجع دراسة الكتب المقدسة فى ضوء العلم الحديث ص ٢٠، ٢١ ص ٢٦ – ٣١ – دار المعارف – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٧٧م.

(١٥) راجع دراسة الكتب المقدسة فى ضوء العلم الحديث ص ٢٠، ٢١ ص ٢٦ – ٣١ – دار المعارف – بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٧٧م.

أخرى لا ندرى فى أية مناسبة وفى أى زمان كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقين)[١٦].

ولذلك، فلانرى للعهد القديم ما نراه للقرآن الكريم من حفظ إلهى، وإنما سنرى كثيراً من التبديل والتحريف..إلخ وذلك من خلال المقارنة بين الآيات القرآنية، وبين روايات العهد القديم التى تحدثت عن نبى الله موسى عليه السلام قبل بعثته.

(١٦) رسالة في اللاهوت والسياسة سبينوزا ص ٢٥٥ – ترجمة د/حسن حنفى – مكتبي الأنجلو – الطبعة الثانية – ١٩٨١م و الإسرائيليات فى تفسير الطبرى – د/آمال ربيع – ص ٦٦ – ٧٤ – دار الثقافة العربية – القاهرة – ١٤٢٠هـ (بتصرف).

المبحث الأول
موسى عليه السلام فى مرحلة الطفولة

المجتمع المصرى قبيل ولادة موسى عليه السلام:

لانستطيع أن نقدم فى هذا المبحث صورة متكاملة عن المجتمع المصرى من كل جوانبه: الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، على الرغم من أهمية ذلك بالنسبة لحياة موسى عليه السلام، وإنما سنقتصر على بيان ما كانت عليه العلاقة بين بنى إسرائيل الذين ينتمى إليهم موسى عليه السلام، وبين فرعون وجنده والمصريين بصفة عامة، ونرجع فى ذلك إلى نصوص العهد القديم التى جاء فيها: (فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف. ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللَّبِن، و كل عمل فى الحقل كل عمل عملوه بواسطتهم عنفاً..)(١٧).

وأما فى القرآن الكريم فنجد آيات من سورة القصص تصور لنا هذه العلاقة أيضا، قال تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ (القصص١ – ٥).

والآيات تبين أن سبب الصدام الذى حدث بين فرعون وبنى إسرائيل يرجع إلى أمرين: الأول: علو فرعون وفساده وعصيانه لأمر الله، والثانى: الإرادة الإلهية التى تريد أن تنقذ بنى إسرائيل من العذاب الفرعونى، وتأخذ بأيديهم إلى المنهج الربانى الصحيح؛ ليكونوا بعد ذلك هداة للناس، ودعاة للحق، كما كان أجدادهم الأنبياء من قبل: يوسف، ويعقوب، وإسحاق، وإبراهيم، عليهم السلام.

---

(١٧) العهد القديم خروج ١/١٤،١٥،١٦/ص ٨٨.

كما تشير الآيات إلى هذا الأمر الفرعونى الجائر بذبح ذكور بنى إسرائيل واستحياء نسائهم، خوفاً على ملكه.

ومن المصدرين السابقين يستقى الطبرى فى تاريخه تصويراً للمجتمع المصرى قبيل ولادة موسى عليه السلام، فيروى عن ابن إسحاق قوله: (توارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر، فنشر الله بها بنى إسرائيل، وهم على بقايا من دينهم، مما كان يوسف ويعقوب وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام، متمسكين به، حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولا ولا أطول عمراً فى ملكه منه.، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة، ولا أقسى قلباً، ولا أسوأ ملكاً لبنى إسرائيل منه، يعذبهم فيجعلهم خدماً وخولاً، وصنفهم فى أعماله، فصنف يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يزرعون له، فهم فى أعماله، ومن لم يكن منهم فى صنعة له من عمله فعليه الجزية، فسامهم كما قال الله ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ (البقرة ٤٩) وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لايريدون فراقه).[١٨].

كانت هذه صورة مختصرة جداً لجانب من جوانب المجتمع المصرى الذى سيستقبل نبى الله موسى عليه السلام، وإضافة إلى كل ما سبق فقد وجد السحر والسحرة فى هذا المجتمع سوقهم الرائجة، ولا أدل على ذلك من تكرار كلمة السحر والسحرة ومشتقاتها فى قصة موسى عليه السلام فى القرآن أكثر من (٣٠) مرة، واعتماد فرعون على السحر والسحرة فى مواجهته لموسى عليه السلام بعد بعثته، وأدى هذا إلى نشر الخرافات والخزعبلات، والتفنن فى ذلك إلى أقصى درجة ممكنة. وقد ترك ذلك أثره على بنى إسرائيل إلى درجة أنهم – كما يحكى عنهم العهد القديم – أصيبوا بالعبودية وصغر النفس[١٩].

---

(١٨) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٣٨٦/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار سويدان – بيروت – لبنان – ١٣٨٧هـ (بتصرف).

(١٩) وللتوسع فى معرفة شتى جوانب المجتمع المصرى الذى ولد فيه موسى عليه السلام يمكن الرجوع للمصادر التالية العهد القديم – سفر التكوين الإصحاح ٣٥/ ٢٣/ص٥٩، الإصحاح ٨/٤٥/ص٧٧، والإصحاح٤٧/٧،٦،٥/ص٨١،٨٠،وسفر الخروج الإصحاح ١/١٦،١٥،١٤/ص٨٨،والإصحاح ٩/٦ ص ٩٤ – طبعة دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط – د.ت. =

أسرة موسى عليه السلام:

فى العهد القديم وردت روايتان حول تكوين هذه الأسرة، تقول الرواية الأولى: وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي، فحبلت المرأة وولدت ابناً)[٢٠] والرواية الثانية أكثر تحديداً ووضوحاً إذ تقول: (وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له؛ فولدت له، هارون وموسى. وكانت سنو حياة عمرام مئة وسبعاً وثلاثين سنة)[٢١].

وتشير روايات العهد القديم – أيضاً – إلى أخت موسى عليه السلام، فتقول: (ووقفت أخته من بعيد؛ لتعرف ماذا يفعل به)[٢٢].

ولا نجد فى آيات القرآن الكريم من أسماء أسرة موسى عليه السلام إلا اسمه واسم أخيه هارون، وإن كنا سنرى لأمه ولأخته أدواراً هامة فى حياته.

ولكننا حسب روايات العهد القديم يمكننا تحديد أسماء أسرة موسى عليه السلام من الأب عمران، والأم يكابد، والأخ هارون عليه السلام، والأخت(مريم) كما سماها الطبرى والبغوي في تفسيرهما في رواية طويلة[٢٣].

= وجامع البيان عن تأويل آى القرآن – للطبرى – تحقيق محمود شاكر ٢/ ٤٤ – دار المعارف – مصر ١٩٦٩م، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٩٠ – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – ١٤١٥هـ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى – ١/ ٣٣٧ – الطبعة الأولى – دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٣٦٥هـ، والسنن الكبرى للنسائى – تحقيق د/عبد الغفار البنداري – ٦/ ٣٩٦ – ٤٠٦دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٩٩ – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤١٠هـ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب – ٥/ ٢٦٧٧ – الطبعة التاسعة والعشرون – دار الشروق – مصر ١٤٠٨هـ، وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص١٧٩وما بعدها – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – دت، والإسرائيليات فى تفسير الطبري ص ١٤٦،١٤٧، وتاريخ التربية والتعليم فى مصر د/سعد مرسى أحمد وآخرون ص ٦٨ مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٥م، وغير ذلك.

(٢٠) خروج ٢/ ١،٢ – ص٨٨.

(٢١) خروج ٦/ ٢٠ص ٩٥.

(٢٢) خرج ٢/ ٤ص٨٨.

(٢٣) جامع البيان للطبرى ٢٠/ ٢٥، وتفسير البغوى ١/ ١٩٠، ٣/ ٤٣٥.

أم موسى عليه السلام فى حملها وولادتها:

لانجد فى العهد القديم ممايتصل بحمل أم موسى بموسى سوى إشارة صغيرة فى رواية تقول: (فحبلت المرأة وولدت ابناً)[٢٤].

وعلى الرغم من عدم ذكر تفصيلات عن الحمل أو الولادة، في القرآن الكريم فإن التفاسير القرآنية قد ذكرت تفاصيل هذه المرحلة بصورة لافتة للنظر، ففى تفسيرى البغوي والقرطبى (ويروى أنها حين اقتربت وضربها الطلق، وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها، فقالت: لينفعني حبك اليوم، فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه، وارتعش كل مفصل منها، ودخل حبه قلبها، ثم قالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك، وأخبر فرعون، ولكني وجدت لابنك حباً ما وجدت مثله قط، فاحفظيه).

ويقول ابن كثير: (فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، فلما كان من قابل، حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن، فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين)[٢٥].

فهاتان الروايتان – على ما فيهما من مبالغات – يتبين لنا من خلالهما أمر هام، وهو عزم فرعون على قتل كل مولود ذكر لبنى إسرائيل واستحياء لنسائهم، وخوف أم موسى على ما فى بطنها أن يكون ذكراً فيقتله فرعون، فلما ولدته ووجدته ذكراً أصابها من الهم والغم ما أصابها خوفاً عليه. ولن نتعرض للأسباب التى جعلت فرعون يقدم على هذه الفعلة الشنعاء !! وأيا كان السبب فى ذلك فإن فرعون بدأ فى تنفيذ الأمر، ولم يرد فى القرآن خطوات هذا التنفيذ أو طريقته، لكن العهد القديم وردت فيه رواية تبين ذلك بشئ من التفصيل، تقول الرواية:

---

(٢٤) الخروج ٢ – ٥ ص٨٨.

(٢٥) معالم التنزيل للبغوى ٣/٤٣٥، والجامع لأحكام القرآن ٦/٤٩٦٥، وتفسير ابن كثير ٣/١٩٩ (بتصرف).

(وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات اللتين اسم إحداهما (شفرة) واسم الأخرى (فوعة) وقال: حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسى: إن كان ابنا فاقتلاه، وإن كان بنتا فتحيا. ولكن القابلتين خافتا الله، ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر. بل استحيتا الأولاد. فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما: لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الأولاد؟ فقالت القابلتان لفرعون: إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات. فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة. فأحسن الله إلى القابلتين.

ونما الشعب وكثر جداً. وكان إذ خافت القابلتان الله أنه صنع لهما بيوتا ثُم أمر فرعون جميع شعبه قائلا: كل ابن يولد تطرحونه فى النهر لكن بنتا تستحيونها)[٢٦].

ولنا على هذه الرواية ملاحظتان:

الأولى: إن فرعون أمر قابلتين للقيام بمهمة قتل ذكور بنى إسرائيل وترك الإناث، ويفهم من الرواية أن القابلتين كانتامن بنى إسرائيل، ودليل ذلك ماورد فى الرواية نفسها من عبارات تدل على إيمانهما بالله مثل: (ولكن القابلتين خافتا الله) ومثل (وكان إذ خافت القابلتان الله أنه صنع لهما بيوتا) فهل يعقل مع هذه العبارات أن تكون القابلتان من القبط من قوم فرعون؟ قطعاً لا. فلابد أن تكونا هاتين القابلتين من بنى إسرائيل، ويؤكد ذلك ما نتج عن عملهما كما تقول الرواية: (ونما الشعب وكثر جداً) فهل هذا يرضى فرعون أو يرضى القبط المصريين آنذاك؟ قطعا لا.

ولا يعقل أن يكلف فرعون وهو فى حالة ذعره وخوفه على ملكه قابلتين من أعدائه لتقوما بهذه المهمة!! ولو قالت الرواية: إن القابلتين كانتا مصريتين من القبط لكان ذلك أقرب إلى العقل والمنطق، فقابلات القبط سيكن طائعات لفرعون بعد أن دان له شعب مصر رجالا ونساء بالعبودية من دون الله..

---

(٢٦) خروج ١٥ – ٢٢/١ص ٨٨.

الثانية: إذا جمعنا بين هذه الرواية وبين رواية أخرى تحكى عن تصرف أم موسى لما خافت عليه من القتل أنها – كما تقول الرواية فى العهد القديم: (أخذت له سفطاً من البردي، ووضعت الولد فيه، ووضعته على حافة النهر!)[٢٧] فسنجد تضاداً واضحاً وتناقضاً عجيباً: إذ لاشك أن أم موسى قد علمت أمر فرعون لشعبه بإلقاء أولاد بنى إسرائيل الذكور فى النهر، فكيف نقبل عقلا أن تذهب هذه الأم بولدها لتضعه على حافة النهر؟ إنها لو فعلت ذلك فكأنها تسهل مهمة القبط وأنصار فرعون فى العثور على ابنها وإلقائه فى النهر، وكأن لسان حالها يقول لهم: ها هو ابنى خذوه، وفى اليم ألقوه؟

وأما فى القرآن الكريم فنجد آيات ورد فيها أمر فرعون بذبح أولاد بنى إسرائيل أو قتلهم واستحياء نسائهم: أما الآية الأولى: ففى سورة القصص المكية، يقول سبحانه وتعالى فيها: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص ٤).

والآية الثانية فى سورة إبراهيم – المكية أيضاً –، يقول سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم ٦).

والآية الثالثة فى سورة البقرة – المدنية –، يقول سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة ٤٩).

أحداث الولادة:

تبدأ أحداث ولادة موسى عليه السلام فى رواية العهد القديم على هذا

---

(٢٧) خروج ٢/ ٤ ص٨٨.

النحو: (فحبلت المرأة – يعنى أم موسى – وولدت ابنا – يعنى موسى – ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر.ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد. أخذت سفطاً من البردي وطلته بالحمر والزفت، ووضعت الولد فيه، ووضعته فى الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من بعيد؛ لتعرف ماذا يفعل به، فنزلت ابنة فرعون فأخذته)[٢٨].

وتبدو صورة أم موسى فى هذه الرواية مختصرة باهتة، تتلخص مهمتها فى حمل موسى عليه السلام فى بطنها، وإخفائه بعد ولادته عن أعين الذباحين من جنود فرعون وغيرهم لمدة تسعين يوما، ومحاولة الإمعان فى الإخفاء بإبعاده عن المنزل ووضعه على حافة النهر.

وتثير هذه الرواية تساؤلا هاما: هل كانت أم موسى تعد ولدها لمن يأخذه ويلقيه فى اليم، فوضعته فى سفط من البردي، وطلته بالحمر والزفت ووضعته على حافة النهر؟

ولانجد فى نصوص العهد القديم إجابة شافية على هذا التساؤل، وإنما تنتقل الرواية مباشرة إلى انتقال موسى إلى بيت فرعون بعد ولادته بواسطة جوارى بنت فرعون[٢٩].

وأما الآيات القرآنية فتصور هذا الموقف على نحو فيه دقة بالغة ليس فيها كثير من التفاصيل التافهة، وإنما فيها كثير من الدلالات العميقة الهامة، ففى سورة القصص يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص ٧) وفى سورة طه تتحدث الآيات عن هذا الموقف بقليل من التفصيل. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ

(٢٨) خروج ٢/٥ ص ٨٨.
(٢٩) خروج٢/٥،٦ص٨٨.

أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ (طه ٣٨، ٣٩).

إن المقابلة بين رواية العهد القديم وبين الآيات القرآنية السابقة فى هذا الموضع تكشف لنا عما أصاب رواية العهد القديم من تحوير وتغيير فى فحواها ومبناها نجمل ذلك فيما يلى:

أولا: من الملاحظ أن رواية العهد القديم تخلو تماما من الحديث عن الوحي الإلهي، أو الإلهام الربانى إلى أم موسى، وتصورها معتمدة على تفكيرها البشرى الذاتى الذى لانلمح فيه أى توجيه خارجى، لامن الله سبحانه، ولامن أى جهة أخرى، وهذا لايتفق مع طبيعة قصة موسى وفحواها، فالرواية تتناول مولد نبى الله موسى بصورة لاإعجاز فيها، بل ولادخل للقدرة الإلٰهية بها، فلا نستشعر فيها تلك الخصوصية الإلٰهية لأنبيائه من تكريم وتبجيل، والإعجاز الإلهى فى ولادة موسى عليه السلام فى هذه الظروف القاسية، ونجاته من قبضة فرعون أمر مقصود لذاته، تظهر فيه القدرة الإلٰهية سافرة تزيد إيمان المؤمنين بالله، وتزعزع إيمان المؤمنين بألوهية فرعون المغشوشة، ولذلك فلا مشاحة على بنى إسرائيل – بعد أن صورت لهم هذه الرواية أو صوروا هم – ولادة موسى على هذا النحوالخالى من الإعجاز الإلهى – أن يتطاولوا بعد ذلك على نبيهم بالعصيان، إذ لايرون فى ولادته ما يمتاز به عمن سواه[٣٠].

وعلى العكس من ذلك نرى فى الآيات القرآنية العلاقة بين أم نبى الله موسى عليه السلام وبين خالقها سبحانه وتعالى غاية فى الوضوح، بل تبدأ الآيات بالنص على ذلك فى سورة القصص: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وفى سورة طه ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ فقد أوحى الله إلى أم موسى وحي إلهام، أو من خلال رؤيا فى منام، أو بواسطة ملك كلمها عياناً، على

(٣٠) التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن منه د /صابر طعيمة – ص ١٤٤ – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٣٩٩هـ (بتصرف).

اختلاف بين المفسرين فى ذلك[٣١] أوحى إليها أن تفعل ما تؤمر به، وأن تترك مهمة حفظ رضيعها لمن خلقه سبحانه وتعالى.

والقدرة الإلهية – فى هذه الآيات – تبدو سافرة واضحة لكل قارىء، ففى أمره سبحانه لأم موسى أن ترضع موسى بعد ولادته، فإذا خافت عليه مكروها وشعرت بالذباحين الفراعنة يبحثون عنه ليذبحوه كما ذبحوا أمثاله من الأطفال الأبرياء؛ فعليها حينئذ ألا تتدخل فى حفظه بوسائلها البشرية، وإنما عليها أن تنفذ أمر الله لها، وهو ﴿ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾.

إن العقل البشرى ربما يرى فى اليم خطراً داهماً على مولود يلقى فيه؛ لكن ههنا فى ولادة موسى الذى قال الله عنه بعد ذلك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (طه٣٩) ههنا يكون اليم هو موطن الأمان، وهو المسخر بأمر الله للقيام بحماية هذا الرضيع الذى لاحول له ولا قوة، لكن حول الله وقوته هما خير حافظ له.

ولصاحب تفسير الظلال تصوير دقيق لهذه اللحظات العصيبة التى تبدت فيها القدرة الإلهية لإنقاذ هذا النبى الكريم، يقول سيد قطب: (لقد ولد موسى فى ظل تلك الأوضاع القاسية التى رسمها البدء فى القصة، ولد والخطر محدق به، والموت يتلفت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه.وهاهى أمه حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين. هاهى ذى بطفلها الصغير فى قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطرى أن ينم عليه، عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة.هاهى ذى وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة.هنا تتدخل يد القدرة، فتتصل بالأم المذعورة، وتلقى فى روعها كيف تعمل، وتوحى لها بالتصرف: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص ٧)[٣٢].

---

(٣١) راجع جامع البيان للطبري ٢١/٢٠، تفسير البغوي ٤٣٥/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٥٢/١٣.

(٣٢) فى ظلال القرآن – سيد قطب ٢٦٧٨/٥ دار الشروق – القاهرة – الطبعة رقم (٢٣) ١٤١٥هـ، وقصص الرحمن فى ظلال القرآن – أحمد الحمصي ٣٨/٣، ٣٩ مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ.

ثانيا: إن رواية العهد القديم لا تبرز من مهمة أم موسى ودورها فى شخصيته إلا الجانب المادى الحسى، فهى فى هذه الرواية مجرد مرضع تستوى فى ذلك مع سائر المرضعات، وللأسف لم تشر هذه الرواية مجرد إشارة إلى الخوف الفطرى من أم على رضيعها المهدد بالقتل أو الذبح، إو حتى الإلقاء فى النهر كما قالت روايات العهد القديم، وهذا يهدم جانبا هاما فى شخصية أم موسى التى ستربى هذا النبى العظيم الذى سيقود بنى إسرائيل بعد ذلك، ألا وهو الجانب الإيمانى والروحى والعاطفى والشعورى؛ ولعل طغيان الإحساس المادى على كاتب أسفار العهد القديم هوالذى نحا به إلى هذا المنحى الغريب.

وأما الآيات القرآنية فلم تشر إلى الخوف الذى ملك على أم موسى أمرها فحسب، وإنما أشارت إلى حزنها أيضاً، وصورت حالتها غاية فى الذهول والحيرة والقلق بعد تنفيذها أمر الله وإلقائها رضيعها فى اليم، يقول سبحانه وتعالى فى الآيات: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ ويقول سبحانه ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص ١٠).

وقال المفسرون: ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة، والضحاك، والحسن البصري، وقتادة، وغيرهم، فى بيان حال أم موسى لما ألقته فى اليم: (يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر: إنه أصبح فارغاً، أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى. "إن كادت لتبدي به" أي إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها، قال الله تعالى: "لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين)[٣٣].

ثالثا: إن الآيات تكشف لنا بوضوح عن إيمان أم موسى بالله، وأنه كان

---

(٣٣) راجع جامع البيان ٢٣/٢٠، ومعالم التنزيل للبغوي ٤٣٧/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٩٧٢/٦، روح المعاني ٣٣٢/٦، وغيرها.

إيماناً لاارتياب فيه ولاشك، ولادخل فيه ولادخن، ودليل ذلك أنها لم تتردد لحظة واحدة فى تنفيذ ما ألهمها الله به، فلا نجد فى الآيات أي إشارة لشيء من ذلك، ومن عجب: أن نجد فى بعض كتب التفسير والتاريخ ما يوحى بتردد أم موسى بعد أن وسوس لها الشيطان؛ ليردها عن أمر الله لها[٣٤] ومثل هذه الروايات لاشك أنها من الإسرائيليات التى لايقرها شرع ولا يقبلها عقل.

رابعاً: إن الآيات القرآنية تنص نصاً واضحاً على إلقاء أم موسى رضيعها فى اليم – وهو نيل مصر – كما ذكر عدد من المفسرين – وإلقاؤه فى اليم إبراز آخر لقدرة الله سبحانه وتعالى، تتمثل فى حفظ هذا الرضيع من مخاطر البحر: فالله سبحانه وتعالى بقدرته هو الذى تولى حفظه من الغرق، ومن خطورة الأمواج المتلاطمة، وخطورة حيوانات البحر المفترسة، وخطورة التقاط الأعداء له. وكل هذه المخاطرلانجد منها شيئا فى رواية العهد القديم التى لاتجعل لليم أى دور يذكر فى حياة الرضيع موسى عليه السلام.

خامساً: وليس لنا أن نتمحل الأسباب التى ذكرها بعض العلماء حول رضاعة أم موسى لابنها بضعة أشهر من خلال احتيالها بوضعه فى تابوت وربطه فى النهر بحبل تجذبه إليها كلما أرادت أن ترضعه[٣٥] فعلى ما فى ذلك من تكلف واضح وإرشاد وتنبيه لمن يراقب الأطفال ليذبحهم فإننا لانجد فيه إبرازاً لصفتى السمع والطاعة والاستسلام من أم موسى لأمر الله القائل ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ والقائل ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ فالأمر بقذف موسى فى اليم فيه من سرعة التنفيذ ما يدل على أن أم موسى ما كانت تتصرف فى رضيعها إلا حسب ماتجده فى نفسها من وحى الله لها.

سادسا: إننا لانجد فى رواية العهد القديم أى بشارة لأم موسى ببعثته وإرساله نبياً لبنى إسرائيل، وهذا مغاير لأسلوب العهد القديم الذى يهتم بإبراز أدق

---

(٣٤) راجع معالم التنزيل للبغوي ٣/ ٤٣٤ – ٤٣٧.

(٣٥) جامع البيان للطبري ٢٠/ ٢٣ (بتصرف).

التفاصيل: كذكر الأسماء، والأعداد، والأماكن.. إلخ، وأما الآيات القرآنية فالبشارة فيها بنبوة موسى عليه السلام واضحة، غاية فى الوضوح، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وهو غرض القصة الرئيس.

موسى عليه السلام فى اليم:

اليم – نيل مصر – لادور له فى رواية العهد القديم فيما يختص بموسى عليه السلام، وإنما دوره أنه مغتسل بارد لابنة فرعون، تقول رواية العهد القديم: (فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر. فرأت السفط بين الحلفاء، فأرسلت أمتها وأخذته. ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى)(٣٦).

فهذه الرواية لانرى فيها استخداما لعنصر المكان وتوظيفه فى القصة من خلال إبراز دور النهر فى حفظ حياة موسى عليه السلام، وإنما نجد دوره هامشياً يقتصر – كما ذكرت – على كونه مغتسلاً لابنة فرعون، وعلى العكس من ذلك نجد الآيات القرآنية قد خلعت عليه لوناً من الحياة والحركة والتشخيص، وذلك فى أمر الله لليم بقوله ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ فقوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ فيه أمر واضح من الله سبحانه لليم.

أولاً: أن يحفظ موسى عليه السلام مما فيه من مخاطر.

وثانيا: أن يدفع التابوت دفعاً هيناً إلى الساحل. فالخطاب الموجه لليم فى هذه الآية، إضافة إلى كونه يخلع عليه صفات الحياة والحركة؛ فإنه يبرز له دوراً هاماً وخطيراً؛ لأنه يمثل حلقة وصل ينتقل من خلالها موسى الرضيع الضعيف من اليد الحانية الآمنة – وهى يد أمه – إلى يد عدو الله وعدوه وعدو أمه؛ لتستكمل القدرة الإلٰهية معجزتها فى حفظه ورعايته ونموه وتربيته فى بيت عدوه!!.

---

(٣٦) الخروج ٢/٦، ٥ ص ٨٨.

أخت موسى عليه السلام:

فى العهد القديم يبدو دور أخت موسى فى صورة مخالفة لما فى القرآن الكريم، ولذلك سنحرص على ذكرهذا الدور كله جملة واحدة، ثم نذكر آيات القرآن الكريم؛ لنرى ماتكشف عنه المقابلة من اختلاف.

تقول رواية العهد القديم: (ووقفت أخته من بعيد؛ لتعرف ماذا يفعل به. فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء، فأرسلت أمتها وأخذته. ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى. فرقت له، وقالت: هذا من أولاد العبرانيين. فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات، لترضع لك الولد؟ فقالت لها ابنة فرعون: اذهبى. فذهبت الفتاة، ودعت أم الولد. فقالت لها ابنة فرعون: اذهبى بهذا الولد، وأرضعيه لى، وأنا أعطي أجرتك. فأخذت المرأة الولد وأرضعته. ولما كبر الولد جاءت به ابنة فرعون فصار لها ابناً. ودعت اسمه موسى، وقالت: إنى انتشلته من الماء)[٣٧].

هذه الرواية تحدثت عن أكثر من شخصية:

أولا: أخت موسى عليه السلام، وتحكى عنها الرواية: أنها وقفت تلاحظ أخيها بعد أن وضعته أمه فى سفط ووضعته وسط الحلفاء على حافة النهر، كما ذكرت رواية العهد القديم فيما ذكرناه آنفا. فلما رأت أن ابنة فرعون قد عثرت على السفط الذى فيه موسى عليه السلام عرضت عليها المساعدة بأن تدلها على مرضعة له، فلما قبلت ابنة فرعون هذا العرض استغلت أخت موسى ذلك وذهبت إلى أمها وأم موسى ودعتها لتقوم بالرضاعة. وإلى هنا ينتهى دور أخت موسى حسب رواية العهد القديم.

ومن الملاحظ أن رواية العهد القديم – كما اختصرت دور أم موسى – اختصرت دور اخته أيضا، مع أن ذلك ليس من طبيعة كتاب العهد القديم فى

---

(٣٧) الخروج ٢/٢ – ١٠ ص ٨٩، ٨٨.

مثل هذه الروايات، فالرواية كما هو واضح توحى بسرعة الحدث فى هذه اللحظة، إذ نرى أن ابنة فرعون بمجرد نزولها للنهر لتغتسل هى وجواريها رأت السفط فأمرت بأخذه، وهنا نجد نوعا من العلاقة المفاجئة بين ابنة فرعون وأخت موسى؛ ينسى فيها كاتب العهد القديم كل ماذكره من مرارة وضنك وتعذيب من فرعون وملئه لبنى إسرائيل، وبصورة فيها شيء من الود تعرض أخت موسى المساعدة وتوافق ابنة فرعون، وهذه الصورة لاتنم مطلقا عن أي لون من ألوان الخوف أو التوجس من أن يكتشف آل فرعون سر هذا الرضيع، وسر أخته وهما تحت الرقابة الشديدة من جنود فرعون المأمورين بذبح الأبناء من بنى إسرائيل، بل ولانلمح أى خوف من أخت موسى من الجوارى التابعات لابنة فرعون من كشف سرها أو سر أخيها لفرعون نفسه.

وقد يقول قائل: إن أخت موسى وجدت حماية من خلال حب ابنة فرعون لهذا الرضيع فأبدت هذا النوع من العلاقة السريعة؛ لتنقذ أخاها، وهذا القول غير صحيح البتة؛ لأن سيرة فرعون – بعد ذلك كما فى روايات العهد القديم – تهدم هذا الافتراض من أساسه، فما كان فرعون الذى ادعى الألوهية ليعنيه غير بقاء ملكه وسطوته، وأخت موسى تدرك ذلك جيداً فإن كانت قد أمنت ابنة فرعون على أخيها فكيف تأمن فرعون وهى تعلم قطعاً أن مصير أخيها سيكون فى قصره.؟

بل ولانعرف كيف عرفت ابنة فرعون أن هذا الرضيع من أبناء العبرانيين؟ فما الذى دلها على ذلك؟ وهل كان فى هذا الرضيع ما يميزه عن أبناء المصريين القبط مثلا؟ أما الآيات القرآنية فلأخت موسى عليه السلام فيها شأن آخر:

فلقد نفذت أم موسى عليه السلام ما أوحى الله به إليها، فقذفت موسى فى التابوت، ثم قذفته فى اليم، وصار فؤادها فارغاً ولهاً على موسى من شدة خوفها عليه، ووقتئذ جاء دور الأخت في مراقبة أخيها موسى بعد أن أمرتها أمها بما حكاه عنها القرآن: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ

أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (القصص ١١، ١٢) وفى موضع آخر ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ (طه ٤٠).

يقول البغوي فى تأويل هاتين الآيتين: (إنها كانت تمشي جانباً، وتنظر اختلاساً، تُري أنها لا تنظره، "وهم لا يشعرون"، أنها أخته، وأنها – يعني أخت موسى – قالت: "هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه"، أي: يضمنونه "لكم"، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها، فأحب شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه، "وهم له ناصحون"، وقال القرطبى: (وكان موسى لما وهبه فرعون لامرأته طلبت له المراضع، وكان لا يأخذ من أحد حتى أقبلت أخته، فأخذته ووضعته في حجرها وناولته ثديها فمصه وفرح به. فقالوا لها: تقيمين عندنا، فقالت: إنه لا لبن لي، ولكن أدلكم على من يكفله وهم له ناصحون. قالوا: ومن هي؟ قالت: أمي. فقالوا: لها لبن؟ قالت نعم)[٣٨].

ومن كلام البغوي والقرطبى نتبين ملامح الدور الذى قامت به أخت موسى عليه السلام فى حفظه:

* إن كلمة (قُصّيه) توحى بالدقة فى الأمر، فهى تعنى تقصى أثره وأخباره بدقة بالغة، بحيث لايغيب عنك من خبره شيء صغيراً كان أو كبيراً، إذ لم تقل لها: تقصى خبره، أو أثره، وإنما قالت: (قصيه) أى هو نفسه وكل ما يتعلق به تبعاً له.

* تلطف أخت موسى فى القيام بمهمتها وتصنعها صنعة الجاسوس الماهر، فرمقته من بعد دون ظهور منها، وبصورة لايشعر بها أحد من القبط ولا من جنود فرعون القائمين بتنفيذ أمره بذبح أبناء بنى إسرائيل، وهذا

(٣٨) معالم التنزيل للبغوي ٣/٤٢٧، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٢٦.

يتناسب تماما ويتساوق مع هذا الجو الذى ولد فيه موسى، جو الاضطهاد والتربص والتعذيب لبنى إسرائيل.

* ونتيجة لهذه المهارة التى مارستها أخت موسى فى تحسس أخبار أخيها الرضيع توصلت بمشيئة الله سبحانه وتعالى إلى مقر أخيها الأخير، وهو قصر فرعون، ويبدو أن تعلق امرأة فرعون بهذا الرضيع (موسى عليه السلام) كان تعلقاً مفرطاً، وحرص فرعون على إرضائها فى رغباتها كان سبباً فى شيوع البحث عن مرضع لهذا الطفل الذى يمتنع عن الرضاع إلا من امرأة بعينها، وهنا تتدخل القدرة الإلهية لتحرم عليه المراضع – تحريماً قدرياً – كما يقول ابن كثير:

(لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثدياً، وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته أخته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها.)[٣٩].

* وهنا لايمكن قبول مثل هذه الروايات التى تزعم: (أن موسى لما وهبه فرعون لامرأته طلبت له المراضع، وكان لا يأخذ من أحد حتى أقبلت أخته، فأخذته ووضعته في حجرها وناولته ثديها فمصه وفرح به. فقالوا لها: تقيمين عندنا، فقالت: إنه لا لبن لي، ولكن أدلكم على من يكفله وهم له ناصحون. قالوا: ومن هي؟ قالت: أمي. فقالوا: لها لبن؟ قالت نعم.)[٤٠].

فالتكلف فى ذلك واضح جلى، وكذلك تلك الرواية التى تنسب الكذب إلى أخت موسى فتقول: (إن أخت موسى، قالت: "هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه"، أي: يضمنونه "لكم"، ويرضعونه، وهي امرأة قد قتل ولدها، فأحب شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه)[٤١]، فليس هناك ما يدعو إلى كذب أخت موسى بدعواها

---

(٣٩) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٨٦.
(٤٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٧٩.
(٤١) معالم التنزيل للبغوي: (١/١٩٥).

أنها تعرف امرأة قتل ابنها والموقف يسمح لها بالإخبار عن أمها التى ترضع أخيها هارون!! وهكذا قال الشوكانى وغيره[٤٢] ولعل بعد هذا يمكن أن ندرك الفرق بين ماورد فى العهد القديم، وما ورد فى القرآن عن أخت موسى عليه السلام، مع بيان ما أصاب الروايات الواردة فى التفاسير من مبالغات...

موسى عليه السلام بين امرأة فرعون وابنته:

قبل أن نتناول دور امرأة فرعون فى حياة موسى فليس من السهل أن نغفل دور ابنة فرعون التى جعلتها رواية العهد القديم مربية لموسى عليه السلام بعد رضاعه فطمست بذلك دور أمه الحقيقية، ودور امرأة فرعون أيضا. تقول الرواية: (ولما كبر الولد جاءت به ابنة فرعون، فصار لها ابنا. ودعت اسمه موسى، وقالت: إنى انتشلته من الماء)[٤٣].

فهذه العبارة تثير عدداً من التساؤلات لانجد لها إجابة فى العهد القديم منها: أين دور امرأة فرعون فى حياة موسى عليه السلام؟.

ولابن كثير إجابة على هذا التساؤل يقول فيها: (وعند أهل الكتاب أن التى التقطت موسى (دربتة) ابنة فرعون وليس لامرأته ذكر بالكلية، وهذا من غلطهم فى كتاب الله عز وجل)[٤٤] ولانقف كثيراً أمام اسم ابنة فرعون الذى ذكره ابن كثير فى روايته، ولانجد له ذكراً فى العهد القديم، فلعله اطلع على نسخة أخرى من العهد القديم – على عهده – كان فيها هذا الاسم. ولكن هذه الملاحظة جعلتنا نبحث فى العهد القديم عن دور لامرأة فرعون فى تربية موسى، فلم نجد لها ذكراً ولا أثراً، وأما فى القرآن الكريم: فنجد لها دوراً بارزاً فى حياة موسى عليه السلام، ولا نجد فيه ذكراً لابنة فرعون، وإن ذكرت فى السنة النبوية كما سنرى بعد سطور.

---

(٤٢) فتح القدير ٣/٥٢٢.
(٤٣) الخروج ٢/٢ – ١٠ ص ٨٩، ٨٨.
(٤٤) قصص الأنبياء ص ٢٨٦.

وتلك ملاحظة تكشف لنا بوضوح عما أصاب نصوص العهد القديم من حذف وتبديل وتحريف، ودليل ذلك ما يلى:

* فمن الناحية العقلية لايشك عاقل فى أن فطرة زوجة فرعون أو أى زوجة سوية لاولد لها ستدفعها دفعاً إلى تبنى طفل ما؛ لإشباع عاطفة الأمومة عندها، على حين أن البنت – وبخاصة التى لم تتذوق طعم الأمومة بعد – لايكون عندها مثل هذا الدافع، ومن هنا فإن امرأة فرعون أولى بالذكر فى القصة من ابنته.

* ومن ناحية ثانية فإن تأثير الزوجة على زوجها أكثر بكثير من تأثير البنت على أبيها، وبخاصة في مثل هذه الأمور العائلية التي قد لا تستطيع البنت أن تعللها كما ستفعل الزوجة أمام فرعون الذي يكره بنى إسرائيل (العبرانيين) ويتمنى لهم الإبادة والاستئصال. ولو أن ابنة فرعون طلبت من أبيها ولداً لتتخذه أخا لها لبادر إليها بأي طفل من أبناء القبط.

* ومن الناحية العقلية – أيضاً – فإن رواية العهد القديم تجعلنا نتساءل عن امرأة فرعون أين هي؟ وما موقفها مما فعلته ابنتها؟ وكيف تترك ابنتها لتقوم باستئجار مرضعة لطفل من أبناء العبرانيين وتنسبه لها؟ وامرأة فرعون – حسب رواية العهد القديم – لم تكن عقيماً – وإلا فكيف يكون لها ابنة، ولم تنبئنا روايات العهد القديم أن لفرعون أكثر من زوجة؟.

* وأما من الناحية النقلية فقد أشار القرآن الكريم إلى امرأة فرعون ودورها فى حياة موسى عليه السلام فى أكثر من آية من آياته: ففى سورة القصص يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (القصص ٩) وفى موضع آخر يقول سبحانه وتعالى مادحا امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(التحريم ١١)، فالآية الأولى الواردة فى سورة القصص تبين دوراً واضحاً ومحدداً لامرأة فرعون، يتجلى فيما يلى:

* إنها دافعت عن موسى (الرضيع) دفاعاً واضحاً أنقذت به حياته، وعرضت نفسها للمخاطر، وذلك فى قولها: (لاتقتلوه)، وهى بذلك لاتواجه فرعون بمفرده، إذ لم تقل (لا تقتله)، وإنما واجهت فرعون وهامان وجنودهما، ولذلك قالت بصيغة الجمع (لاتقتلوه).

* وعللت طلبها عدم قتله ودفاعها عنه أمام اللائمين لها بعلتين:

الأولى: رجاء النفع من موسى فى مقتبل عمره وحال شبابه، وهذا رجاء الأمهات والآباء من أبنائهن.

الثانية: اتخاذه ولداً، وهى تكشف فى هذه العلة عن فطرتها الإنسانية التى تتمناها كل أم أن يكون لها ولد، وتكشف وتلفت النظر عن بعد إلى عورة من عورات قصر فرعون، وهى خلوه من الابن لفرعون وزوجته، ولو كان الأمر على غير ذلك لحاجَّها وأبطل عللها.

* لم تكن امرأة فرعون تعيش قريرة العين هنيئة النفس مع زوجها فرعون الذى ادعى الألوهية واستعبد الناس من دون الله، ووجدت فى هذا الطفل الرضيع سلوة. عما تعانيه فى حياتها معه، فقالت: (قرت عين لى ولك).

ولعل قائلا يقول: إن الله سبحانه وتعالى قال فى القرآن ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ الآية (القصص٨) فما المانع أن تكون ابنة فرعون هى التى التقطته؟.

وللقرطبى إجابة على هذا التساؤل قال فيها: (آل فرعون: أى آل دينه، إذ لم يكن له ابن ولابنت ولاأب ولاعم ولا أخ ولا عصبة)[٤٥]، وعلى الرغم من أننا يمكن أن نستأنس بما قاله القرطبى فى تأييد ما ذهبنا إليه من أن قصة موسى عليه السلام – من الناحية الفنية – فى حاجة ماسة إلى ذكر امرأة فرعون –

(٤٥) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٨٢، ٢٨١ – ٢١٢.

كما جاء فى القرآن – أكثر بكثير من حاجتها إلى ذكر ابنته. إلا أننا لاننكر أن لفرعون ابنة ورد ذكرها فى حديث عن أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه ابن ماجه فى سننه[٤٦].

ولكن – ومن الغريب حقاً – أن نجد فى كتب التاريخ الإسلامى والتفسير القرآنى هذا الاستطراد والقصص الإسرائيلى حول ابنة فرعون، على الرغم من طعن البخارى فى سند الحديث الذي يتحدث عن هذه الابنة من خلال ذكره لماشطتها. [٤٧] فقد بالغ كل من الطبرى والبغوي فى سوق الروايات، حتى صورت ابنة فرعون بأنها كانت برصاء، ولم تشف إلا بريق هذا الطفل العبرانى، وأنها تداوت به.. إلخ)[٤٨] وأخيرا فلم يكن دور امرأة فرعون فى حياة موسى

---

(٤٦) سنن ابن ماجه ١٣٣٧/٢ – (حديث رقم ٤٠٣٠) – كتاب الفتن – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار الفكر بيروت – لبنان – د. ت والحديث عن أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ليلة أسري به وجد ريحاً طيبة. . وفى الحديث فبينما هى تمشط ابنة فرعون إذ سقط المشط، فقالت: تعس فرعون. . إلخ).

(٤٧) قال البخارى عن هذا الحديث: (وفى إسناده (سعيد بن بشير يتكلمون فى حفظه) سنن ابن ماجه ١٣٣٧/٢.

(٤٨) وإذا كان لفرعون ابنة – كما ورد بالحديث – فليس من المعقول أن يكون ذلك فى العهد القديم على حساب ذكر امرأة فرعون، فلم يجر لها ذكر بالمرة، فهذا ما لم يقبله العقل السليم، وبخاصة وقد بجل القرآن زوجة فرعون ووعدها ببيت فى الجنة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ (التحريم ١١) وهذا فيه ما فيه، مما تتصف به هذه المرأة التى آمنت بموسى بعد بعثته من الحكمة والعقل وحسن المنطق، ولذلك، فلا مشاحة بعد ذلك أن تكون ممن وصفهن الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال فى شيمها، كما جاء فى الحد يث الصحيح:
ففى الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ، وكَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ].
وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: َ خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: [تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، – امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ – وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ] رَضِيَ اللَّه عنهن). راجع =

دوراً هامشياً مقتضباً، وكيف يكون ذلك وهى المسؤولة عن انتشاله من اليم، وإدخاله قصر فرعون بواسطة جواريها، ودعوة المرضعات له، لإرضاعه وعودته إلى أمه مرة أخرى، ليستكمل رضاعه، ودفعها أجرة هذا الرضاع، وقد جمع ابن كثير أطراف هذا الحدث الأخير فقال:

(وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها وأعطتها عطاء جزيلاً، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها، وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً، في عز وجاه ورزق دار.)[٤٩] وسنرى فى المبحث القادم أنها كانت سبباً فى إنقاذ موسى عليه السلام من القتل على يد فرعون.

= تاريخ الأمم والملوك للطبري ١/١٩٨، وجامع البيان له أيضا ٢٠/٢١ دار المعرفة بيروت لبنان د. ت، ومعالم التنزيل للبغوي ٣/٤٣٥، ٤٣٦.
وصحيح البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء – حديث رقم (٣١٧٩) تحقيق مصطفى البغا – دار ابن كثير – مصر ١٩٨٧م.
ومسند أحمد – باب مسند عبد الله بن عباس – حديث رقم (٢٥٣٦) – المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان – ١٩٨٥م.

(٤٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٥٠٦.
وهناك روايات فى المصادر الإسلامية تقول: إن موسى عليه السلام لما كبر كان يدعى ابن فرعون، وربما كان لهذه الروايات مبرراً معقولاً بعد تربية موسى فى قصره، ولكن أين نجد ما يدل على أن فرعون كان جده حسبما تزعمه رواية العهد القديم؟ وروى الطبري فى تفسيره أن تسمية موسى بهذا الاسم كانت على لسان ابنة فرعون، وأنها اهتدت إليه بسبب انتشالها له من الماء! لكن الدكتور طه وادي شكك فى ذلك قائلا: (موسى كلمة فرعونية قديمة. . معناها: الوليد، أو الطفل المولود، لكن اليهود يزعمون أنها عبرية بمعنى المنتشل من الماء).
ومن الغريب – حقا –: أن يصرح اليهود – بعد ذلك – أن سفر الخروج الذى وردت فيه قصة موسى كلها من كتابة موسى نفسه!! ولا ندرى كيف كتب موسى عن نفسه كل هذه التفصيلات الدقيقة قبل ولادته وبعدها!!؟ ولذلك يقول سبينوزا: (إن موسى =

المبحث الثانى
موسى عليه السلام فى قصر فرعون

بعد أن أتمت أم موسى رضاعه عادت به إلى امرأة فرعون؛ ليبدأ موسى عليه السلام بذلك فصلاً جديداً من فصول حياته فى قصر فرعون، والتى تبدو فيه إرهاصات واضحة جلية بنبوة موسى عليه السلام، ففى قصر فرعون حدث فى حياة موسى حدثان هامان:

أولهما: عقدة أصابته فى لسانه.

والثانى: قيام موسى بقتل أحد المصريين القبط خطأ.

والحدث الأول: (عقدة اللسان)

عندما نبحث عنه فى العهد القديم – لأنه أسبق المصادر وأقدمها، لالأنه أصحها وأوثقها – نجد الإشارة إلى هذه العقدة فى لسان موسى عليه السلام فى سفر الخروج فى عدة مواضع:

الموضع الأول: (فقال موسى للرب: استمع أيها السيد، لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان. فقال له الرب: من صنع للإنسان فماً أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى؟ أما هو أنا الرب! فالآن اذهب، وأنا أكون مع فمك، وأعلمك ما تتكلم به.)(٥٠).

= عليه السلام لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون) راجع رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٧١.
راجع كلام الطبري فى جامع البيان ١ – ٣١٩، وكلام الدكتور طه وادي فى كتابه: أولوا العزم من الرسل ص ٨٦ – دار النشر للجامعات – مصر – الطبعة الثانية – ١٤١٨هـ، وكذلك راجع ماورد فى: الإسرائيليات فى تفسير الطبري د/آمال عبد الرحمن ص ٧٣.

(٥٠) الخروج ٤/١٠ – ١٢ص٩٢.

والموضع الثانى: (فتكلم موسى أمام الرب قائلا: هو ذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لى. فكيف يسمعنى فرعون، وأنا أغلف الشفتين..)[٥١] والموضع الثالث: (وكان يوم كلم الرب موسى فى أرض مصر. أن الرب كلمه قائلا: أنا الرب كلم فرعون ملك مصر بكل ما أنا أكلمك به. فقال موسى أمام الرب: ها أنا أغلف الشفتين، فكيف يسمع لي فرعون؟)[٥٢].

فهذه المواضع الثلاث لانرى فيها سوى نص على وجود عائق فى نطق موسى عليه السلام، فهو ثقيل الفم واللسان، وغليظ الشفتين مما يعوقه فى النطق والكلام والإفصاح عما يريد، ولاتذكر هذه الروايات سببا لهذا العائق فى نطق موسى عليه السلام.

وفى القرآن عدد من الآيات تنص على العقدة التى أصابت موسى فى لسانه فصارت تمنعه عن الإفصاح عما يريد، ففى سورة القصص: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص٣٤ – ٣٥) وفى سورة طه: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ (طه ٢٧ – ٢٨) وفى سورة الزخرف: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف ٥٢) وفى سورة الشعراء ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ﴾ (الشعراء ١٢ – ١٣).

فهذه الآيات تنص نصاً صريحاً على وجود عقدة فى لسان موسى عليه السلام، وقد وصفها المفسرون بقولهم (كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون، يكون له ردءاً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فآتاه سؤله، فحل عقدة من لسانه)[٥٣].

---

(٥١) خروج ٦/١٣، ١٢ص٩٥.
(٥٢) خروج٦/٢٨ – ٣٠ص٩٦.
(٥٣) ابن كثير ٣/١٩٧.

وقال الشوكانى: (واحلل عقدة من لساني) يعني العجمة التي كانت فيه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو طفل: أي أطلق عن لساني العقدة التي فيه، قيل: أذهب الله سبحانه تلك العقدة جميعها بدليل قوله: " قد أوتيت سؤلك يا موسى "وقيل لم تذهب كلها، لأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية، بل سأل حل عقدة تمنع الإفهام بدليل قوله: "من لساني" أي كائنة من عقد لساني، ويؤيد ذلك قوله: "هو أفصح مني لساناً"، وقوله حكاية عن فرعون" ولا يكاد يبين)[٥٤].

ولسنا هنا بصدد مناقشة وجود هذه العقدة من عدمها، إذ لايساورنا شك فى وجودها، وإنما الجدير بالبحث – هاهنا – هو سببها[٥٥]، فما الذى سبب لموسى عليه السلام هذه العقدة فى لسانه؟ هل هناك حادث معين سبب له ذلك كما أشار الشوكانى فى روايته السابقة؟ أم أنه ولد بها فلازمته منذ صغره؟ ففى سنن النسائى نجد حديثاً طويلاً جداً يستغرق ثلاث صفحات يسمى (حديث الفتون) ويحتوى على قصة موسى عليه السلام، وهو عن ابن عباس يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول فيه:

(فلما دخلت امرأة فرعون بموسى على فرعون، جعله فى حجره فتناول موسى لحية فرعون، فمدها إلى الأرض. قال الغواة من أعداء الله لفرعون: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه زعم أنه يربك ويعلوك ويصرعك؟! فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه.

فجاءت امرأة فرعون تسعى فقالت: ما بدا لك فى هذاالغلام الذى وهبته

---

(٥٤) فتح القدير٣: ص ٥١٩.

(٥٥) ظهر الحديث عن هذه العقدة وعن أثرها فى حياة موسى بعد بعثته لاقبلها، ودليل ذلك: أن فرعون عير موسى بها أثناء دعوة موسى عليه السلام له فقال له: ﴿أَمۡ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف ٥٢) وهذا القول أكبر دليل على كذب فرعون وادعائه على سيدنا موسى؛ لأنه لايمكن أن يكون صادقاً فى وصفه له بالمهانة، لأنه صنع على عين الله وبرعايته، قال تعالى (ولتُصنعَ على عينى)، ولتربيبته فى بيت فرعون نفسه، وبالتالى فإن الوصف التالى له داخل فى هذا الحكم.

لى؟ فقال: ألا ترينه، أنه يزعم أنه سيصرعنى ويعلونى، قالت اجعل بينى وبينك أمراً يعرف فيه الحق، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه، فإن بطش باللؤلؤ، واجتنب الجمرتين، عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين، علمت أن أحدا لايؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل. فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعهما منه مخافة أن يحرقا يديه، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به.)[٥٦].

ويدل هذا الحديث على أن هناك حادثا ما وقع لموسى فى صغره وهو فى قصر فرعون كاد يذهب بحياته لولا تدخل العناية الإلهية لإنقاذ حياته، وكان

---

(٥٦) سنن النسائى كتاب التفسير ٦/٣٩٨، ٣٩٩) وفى تعقيبه على الحديث قال النسائى: (رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبى، وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث فأنكر عليه. . فغضب ابن عباس، وأشهد على صحة الحديث سعد بن مالك الزهرى)، راجع السنن الكبرى للنسائى ٦/٤٠٥، ٤٠٦ – تحقيق د/عبد الغفار البندارى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١١هـ، وفى مجمع الزوائد للهيثمى وجدت الحديث بنصه، وذيله الهيثمى بعبارة النسائى الآنفة، ثم أضاف: (ورواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير أصبغ بن زيد، والقاسم بن أبى أيوب، وهما ثقتان). وراجع مجمع الزوائد للهيثمى ٧/٥٩دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ١٤٠٨هـ.
وفى مسند أبى يعلى الموصلى وجدت الحديث بنصه ٥/١٠ حديث رقم ٢٦١٨ – دار المأمون للتراث – تحقيق حسن سليم أسد – دمشق الطبعة الأولى – ١٤٠٤هـ.
وفتح البارى بشرح صحيح البخارى – لابن حجر العسقلانى – تحقيق عبد العزيز بن باز – ٦/٤١٧ – الحديث رقم (٣٣٩٢) – دار المعرفة بيروت – لبنان – د. ت.
وفى محاولتى لتتبع صحة هذا الحديث وجدت فى فتح الباري بشرح صحيح البخاري فى كتاب حديث الأنبياء، فى حديثه عن قصة موسى عليه السلام، ما نصه (لمح المصنف بهذه التفاسير لما جرى لموسى فى خروجه إلى مدين، ثم رجوعه إلى مصر، ثم فى أخباره مع فرعون. . وكأنه لم يثبت عنده فى ذلك من المرفوعات ما هو على شرطه، وأصح ما ورد فى جميع ذلك: ما أخرجه النسائى، وأبو يعلى بإسناد حسن عن ابن عباس فى حديث الفتون الطويل. . وهو فى تفسيرسورة طه عنده، وعند ابن أبى حاتم، وابن جرير، وابن مردويه وغيرهم ممن خرج التفسير المسند).
وهذه العبارة الأخيرة تبين أن الحديث حسن، والحديث الحسن مما يحتج به عند علماء الحديث، كما جاء فى تيسير مصطلح الحديث – د /محمود الطحان – ص٢٧ مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الثامنة – ١٤٠٧.

لامرأة فرعون بما وهبها الله من حكمة التصرف الدور الرئيس فى ذلك، لكننا لانجد ظلا لما أشار إليه الشوكانى من سبب العقدة. بل لا نجد ما يمكن قبوله من الناحية العقلية وهو التدخل لنزع الجمرتين من يدى الطفل موسى قبل أن يحرق بهما يديه.

لكن الأمر لم يصل إلى أن يضع موسى الجمرتين فى فمه! فما الذى ربط بين هذا الحادث وبين هذه العقدة التى أصابت موسى عليه السلام فى لسانه فى روايات المفسرين؟ فقد روى الطبرى، والبغوي، والقرطبى وغيرهم عن سعيد بن جبير، وابن أبى نجيح، ومجاهد، والسدى بألفاظ متقاربة:

(إن أم موسى لما فطمته ردته، فنشأ في حجر فرعون وامرأته آسية يربيانه، واتخذاه ولداً، فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون، وفى رواية، وأخذ بلحيته فنتفها؛ فغضب فرعون وتطير بضربه: حتى هم بقتله، فقالت آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجربه إن شئت، وجاءت بطشتين: في أحدهما الجمر، وفي الآخر الجواهر، فوضعتهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجوهر، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار فأخذ جمرة فوضعها في فمه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة[٥٧].

والجديد فى رواية المفسرين هو الربط بين عقدة اللسان عند موسى وبين هذا الحدث، على الرغم من عدم وجود هذا الرابط فى روايات العهد القديم، ولا فى آيات القرآن الكريم؛ ولذا فلا مصدر لهذه الرواية وغيرها فى هذه المسألة سوى الإسرائيليات التى نقلها المفسرون عن كتب أخرى لليهود غير العهد القديم، على نحو ما نجده فيما أشارت إليه الدكتورة (آمال ربيع) فى تتبعها لمصدر هذه الرواية فى المصادر اليهودية، والتى وجاء فيها:

---

(٥٧) راجع جامع البيان للطبري ١٠٥/١٦، ومعالم التنزيل للبغوي ٢١٧/١والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٩٧٠/٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤٣/٣ والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ٥٢٨/٤ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ.

(كان فرعون جالسا يأكل، وعن يمينه الفرعونة، وعن يساره تجلس ابنته وفى أحضانها موسى، وبلعام بن باعور وكل أبنائه ووزراء الملكة، فأرسل موسى يده وخلع تاج فرعون من على رأسه، ليضعه على رأسه هو. ورأى وزراء الملك ذلك وعجبوا، وقال فرعون لسحرته: ألا تخبرونى ما تفسير ذلك الأمر الذى فعله هذا الطفل الصغير؟ فأجاب بلعام بن باعور الملك قائلا: هل يذكر سيدى الحلم الذى حلمه والتأويل الذى أخبر به؛ ليعلم سيدى الملك أن هذا الوليد سينزع منه الملك نزعاً، والآن فليأمر سيدى الملك بموت الطفل، وقال يثرو: لايسفك دم الطفل قبل أن يختبره ويعرف ما إذا كان قد فعل ذلك عن عمد.

فليحضروا قصعة مملوءة بجمرات من النار والأحجار الكريمة، ولنضعها أمام الطفل ولنقل له: خذ ما يروق لك، فإذا مد يده وأخذ الأحجار الكريمة علمنا أنه قد فعل ما فعل لحكمة، وليفعل الملك به كما قال بلعام، وأما إذا أخذ الجمرات فليبرأ، لأنه ابن ثلاث سنوات وقد أخطأ فى حضرة الملك دون وعي. ولما وضعوا القصعة أمام موسى، أسرع ومد يده إلى الأحجار الكريمة، وجاء فى نفس الوقت الملك جبريل وأخذ بيد موسى ومدها إلى الجمرات، وأخذها وقربها من شفتيه، وكان منذ ذلك اليوم غير طليق اللسان)[٥٨].

وتعقد الدكتورة مقارنة بين النصين قائلة: (بمقارنة الأثر الوارد فى تبرير ما يقال عن عجمة موسى – فى تفسير الطبرى – بالنص العبرى نجد اتفاقاً تاماً فى الخطوط العريضة للواقعة. فالطفل موسى يقوم بحركة لاترضى فرعون ويهم فرعون يقتل الطفل، ثم يستجيب لنصيحة الناصحين، ويحضر للطفل جمراً وياقوتاً، وكلاهما متشابه فى اللون، وهم الطفل بأخذ الياقوت، وهنا يتدخل جبريل؛ ليضع فى يد موسى جمرة، أحرقت لسانه، ونجا من بطش فرعون)[٥٩].

ويتبين لنا – من خلال هذه المقارنة – المصدر الأول لتسرب هذه الرابطة

---

(٥٨) الإسرائيليات فى تفسير الطبري ص ٣٣٣، ٣٣٢ (بتصرف يسير).

(٥٩) المصدر السابق ص ٣٣٢، ٣٣٣، (بتصرف يسير) وقد حالت قلة المصادر المترجمة عن اللغة العبرية فى هذا الشأن عن تتبع هذه المقارنة فى مصادرها الأولى.

التى ربطت بين عقدة موسى عليه السلام فى لسانه وبين ماحدث منه فى قصر فرعون وهو صغير. ومن خلال ذلك فإننا يجب أن نسجل ما أثير حول روايات عقدة اللسان عند نبى الله موسى ما يلى:

* إن روايات العهد القديم وآيات القرآن الكريم تثبت وجود عائق معين فى لسان موسى عليه السلام، سماه الله فى القرآن عقدة، وقال العلماء فى بيان عقدة اللسان: (يعنى به قوة لسانه عليه السلام، فإن العقدة لم تكن فى الجارحة، وإنما كانت فى قوته التى هى النطق به، ولكل لسان نغمة مخصوصة، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصير)[٦٠].

* إن ما ورد فى السنة حول هذه المسألة حديث حسن يمكن الاحتجاج به – حسبما يراه علماء الحديث[٦١]وهو صالح للاحتجاج على حدوث واقعة ما كان من نتيجتها نجاة موسى عليه السلام من الذبح على يدى فرعون، وليس فيها ما يشير إلى علاقة ذلك بعقدة اللسان عند موسى عليه السلام.

* إن المفسرين قد تسرب إلى تفاسيرهم روايات إسرائيلية فى وقت مبكر جدا تربط بين الواقعة التى أشار إليها الحديث وبين عقدة اللسان عند موسى عليه السلام، وكان بداية ذلك على يدى الطبرى، ثم انتقلت من بعده فى سائر التفاسير القد يمة إلا القليل منها.

* قد يرى بعض العلماء أن مثل هذه الروايات من قبيل الإسرائيليات المسكوت عنها، والتى لابأس من قبولها فى التفسير، والأولى عدم قبول مثل هذه الإسرائيليات، لأنها من أسباب ضعف التفسير.

* ومن وجهة نظري فقد أغفل المفسرون (عفا الله عنهم) جانباً هاماً فى هذه المسألة، فبدلاً من محاولة الربط بين هذه الواقعة وبين عقدة لسان موسى،

---

(٦٠) التعاريف: محمد عبد الؤوف المناوى ت١٠٣١هـ – دار الفكر المعاصرة بيروت – دمسق – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ.

(٦١) تيسير مصطلح الحديث د/محمود الطحان ص ٢٧ مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الثامنة – ١٤٠٧هـ.

كان الأولى أن يربطوا بين ذلك وبين القدرة الإلهية التى تتولى رعاية موسى عليه السلام فى كل مراحل حياته، فكما تولت هذه القدرة حمايته من ذبح فرعون له وقت ولادته، وحمايته من اليم لما ألقته أمه فيه، تولت حمايته أيضاً عندما أوشك فرعون على اكتشاف أمره، والله أعلم.

* ولانشك فى كذب فرعون فى قوله: (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) فموسى عليه السلام كريم بتكريم الله له، مبين لرسالة ربه بدليل قوله تعالى ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه ٣٦) وكان قد سأل ربه قائلا ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ (طه ٢٧، ٢٨) والله أعلم.

الحدث الثانى: قتل موسى للقبطى خطأ وهروبه خوفا من فرعون:

أولا: حياة موسى عليه السلام قبيل الحدث:

إذا رجعنا إلى العهد القديم لنتعرف منه على ملامح هذه الفترة وجدنا أنه لايشير إلى هذه الفترة من حياة موسى إلا إشارة مختصرة جداً، جاءت فى مقدمة الرواية التى تناولت قتل موسى للقبطي، حيث تقول الرواية: (وحدث فى تلك الأيام – لما كبر موسى – أنه خرج إلى إخوته، لينظر فى أثقالهم.. إلخ)[٦٢]، ولا تحدد الرواية من أين خرج؟ وإلى أين ذهب؟ ولاتفصل شيئاً عن ذلك. فهل خرج من قصر فرعون إلى أنحاء مصر، لينظر فى أثقال بنى إسرائيل؟ ربما. ومع هذا الإبهام والغموض الذى نلمحه فى هذه الرواية فإن مفهومها يوحى بأن موسى لم يكن يخالط بنى إسرائيل، وهم إخوانه – كما تقول الرواية – إلا قليلا، والنظر فى الأثقال لانفهم منه مشاركته لهم فيما كانوا فيه من الذل والسخرية الفرعونية.

وفى العهد الجديد إشارة أخرى تقول: (فتهذب موسى بكل حكمة المصريين، وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال) وربما كانت هذه الإشارة هى التى جعلت الأستاذ عبد الوهاب النجار يقول عن هذه الفترة (وتولى البلاط الفرعونى تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك – فى ذلك العهد – بواسطة

---

(٦٢) خروج ٣/١١ – ١٥ ص ٨٩.

الكهنة ورجال الدين) وقد أطالت اللجنة العلمية الرد على هذا الرأى بما لايتسع عرضه ههنا[٦٣] وفى القرآن الكريم إشارتان إلى هذه الفترة:

أما الإشارة الأولى:

فقد حكى الله سبحانه وتعالى على لسان فرعون قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء ١٨) فقد عير فرعون موسى عليه السلام بتربيته إياه، وعيره أيضا بهذه الفترة التى عاشها فى قصره.

وعن هذه الآية يقول البغوي فى بيانه للمدة التى لبثها موسى فى قصر فرعون: (قال ألم نربك فينا وليداً) صبياً "ولبثت فينا من عمرك سنين" ثلاثون سنة)[٦٤] وعبارة ابن كثير أكثر وضوحا، وأقرب وصفاً لبيان حال موسى آنذاك إذ يقول: (أما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين.. وكان هذا قبل أن يوحى إليه، وينعم الله عليه بالرسالة والنبوة)، ويضيف ابن كثير: (إن فرعون الذى بعث إليه موسى عليه السلام هو نفسه الذى فر منه، خلافا لما ورد عند أهل الكتاب، فليس هناك إلا فرعون واحد)[٦٥].

وقال البيضاوى: (قال فرعون لموسى "ألم نربك فينا" في منازلنا. "وليداً" طفلاً سمي به لقربه من الولادة. "ولبثت فينا من عمرك سنين" قيل: لبث فيهم ثلاثين سنة، ثم خرج إلى مدين عشر سنين، ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين، ثم بقي بعد الغرق خمسين)[٦٦].

---

(٦٣) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ٧/٢٢ص٢٠٠ وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٢٠٢.

(٦٤) معالم التنزيل للبغوي ١/١٠٩.

(٦٥) تفسير ابن كثير ٣/٤٤٣، وهذا القول الأخير من ابن كثير هو الصحيح، حتى وإن كان هناك من عارضه معتمداً على ما ورد بالعهد القديم، كالأستاذ عبد الوهاب النجار، وعلى كل فالمسألة خلافية، لم يحسم فيها برأي. راجع قصص الأنبياء لابن كثير ص ٣٠١، وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٢٠٢.

(٦٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ١/٢٣٤ – المطبعة التجارية – القاهرة – د. ت (وهذا هو الرأي الراجح كما قال ابن كثير، وذكرت فى التمهيد أن موسى بعث فى سن الأربعين).

ويقول الشوكانى: (معنى فينا أي في حجرنا ومنازلنا، أراد بذلك المن عليه والاحتقار له: أي ربيناك لدينا صغيراً ولم نقتلك فيمن قتلنا من الأطفال "ولبثت فينا من عمرك سنين" فمتى كان هذا الذي تدعيه؟ قيل: لبث فيهم ثماني عشرة سنة، وقيل: أربعين سنة)[٦٧].

فهذه الروايات لانرى فيها خلافا بين المفسرين فى النص على أن موسى عليه السلام عاش فى قصر فرعون فترة زمنية قبل بعثته، وإنما وقع الخلاف بينهم فى كيفية حياته فيها، فبعضهم يرى أن موسى عليه السلام: (كبر موسى وكان يركب مراكب فرعون، ويلبس ما يلبس فرعون، ويدعى موسى ابن فرعون، وامتنع به بنو إسرائيل ولم يبق قبطى يظلم إسرائيلياً خوفاً منه)[٦٨].

وروى البغوي – أيضاً – عن ابن إسحاق: أن موسى كان أعلن عداءه لفرعون، وفر منه إلى مدينة منف، وكان لموسى تسعة من بنى إسرائيل يسمعون منه، ويقتدون به، ويجتمعون إليه، وكان هذا قبل النبوة) وأورد البغوي رأياً ثالثاً قال فيه: (إن فرعون طرد موسى منذ الصغر إلى البلوغ، فلما دخل المدينة لم يعرفه أحد)[٦٩].

وكان لهذا الخلاف أثره على الباحثين المعاصرين: يقول سيد قطب عن هذه الفترة:

(ما بين مولد موسى عليه السلام وبلوغه الشباب واكتماله، لانعلم ماذا كان بعد رده إلى أمه لترضعه. ولا كيف تربى فى قصر فرعون. ولا كيف كانت صلته بأمه بعد فترة الرضاعة. ولا كيف كان مكانه فى القصر أو خارجه بعد أن شب وكبر. ولا كيف كانت عقيدته، وهو الذى يصنع على عين الله، ويعد لوظيفته فى وسط عباد فرعون وكهنته؟)[٧٠].

---

(٦٧) فتح القدير ٤/١٣٩.
(٦٨) معالم التنزيل ٣/٤٣٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٢٥٩، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ص ١٣٣.
(٦٩) معالم التنزيل ٣/٤٣٨، ٤٣٥.
(٧٠) فى ظلال القرآن ٥/٢٦٨١.

وعلى العكس من ذلك يقرر الدكتور طه وادي فى حديثه عن موسى عليه السلام فى هذه الفترة أنه (بعد أن كبر موسى عاش فترة من الزمان فى قصر فرعون، وتربى تربية أبناء الملوك، فدرس العلم! وتدرب على الفروسية. وهذه التربية البلاطية إعداد وتأهيل ثقافى لمرتبة النبوة التى اختاره رب العزة للقيام بها!)[٧١] وربما اعتمد الدكتور فى ذلك على ما جاء فى العهد الجديد وأشرنا إليه سابقاً من أن موسى عليه السلام (تهذب بكل حكمة المصريين، وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال).

ومع أننا نرجح هذا الرأي الأخير لكننا مع هذا الترجيح لانقبل ما يقول به أصحاب هذا الرأى عن نوع التربية التى تلقاها موسى عليه السلام فى قصر فرعون، والتى وصفها الدكتور طه وادي بأنها (بلاطية)، وأنه تلقى العلم فى قصر فرعون، فمع عدم ملاءمة التعبير بـ (بكلمة بلاطية) عن هذا النبى الكريم فإننا لانعلم نوع العلم الذى تلقاه موسى عليه السلام فى قصر فرعون الذى يدعى الإلوهية، ويعتمد على السحر والدجل فى إقناع عوام الشعب بما يريد، كما أن الآية القرآنية التى أشارت إلى ذلك، وعيرفيهافرعون موسى عليه السلام لايمكن أن نفهم من خلالها نوعاً معيناً من التربية أو العلم.

وأما الإشارة القرآنية الثانية: وهى الآية التى وصف الله سبحانه وتعالى فيها رسوله موسى عليه السلام بقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

يتسع الخلاف بين المفسرين عندما يقفون أمام الإشارة القرآنية الثانية عن حياة موسى عليه السلام فى هذه الفترة، ويتكشف لنا بعض الملامح التربوية والعلمية لموسى عليه السلام خلال هذه الفترة التى لم يكن قد بعث فيها بعد.

وإذا كان المفسرون قد اختلفوا فى تحديدهم لمعنى بلوغ موسى لأشده

---

(٧١) أولو العزم من الرسل د/طه وادي ص١٢٢ – دار النشر للجامعات – مصر – الطبعة الثانية – ١٤١٨هـ.

فمنهم من قال: بلغ الحلم، وأقصاه أربع وثلاثون سنة. ومنهم من قال: الأشد الذى بلغه موسى عليه السلام من ثمانية عشر عام إلى ثلاثين، والاستواء من الثلاثين إلى الأربعين، وقد دارت عباراتهم حول هذا التحديد[٧٢] فإن هذا الاختلاف لايعنينا كثيراً فى بحثنا هذا، وإنما الذى يعنينا أن ذلك كان قبل البعثة قطعاً، وأن الله قد ربطه فى الآية بصفتين هامتين لموسى عليه السلام قبل بعثته: الأولى: الحكم، والثانية: العلم. ولانقبل ما روى عن بعض المفسرين أن المقصود بهما النبوة وذلك لعدة أسباب:

١ – لأن سياق الآيات التى ذكر الله فيهما هاتين الصفتين يرجح أنهما كانتا قبل البعثة لابعدها، فبعد قوله تعالى: (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) قال تعالى ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ (القصص١٥) وقد أجمع المفسرون – كما سنرى لاحقا – أن ذلك كان منه قبل بعثته عليه السلام.

٢ – إن كثيراً من المفسرين كـ (الطبرى، والبغوي، والقرطبى والبيضاوى والشوكانى وسيد قطب) قالوا: إن المقصود بالعلم والحكمة: العقل، والفهم، والخلق، والفقه فى الدين، والمعرفة بدين آبائه من بنى إسرائيل، وأن ذلك كله كان قبل النبوة[٧٣].

٣ – إن سياق قصة موسى يؤكد هذا الرأي، يقول البيضاوى: (آتيناه حكماً : علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه، فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه، وهو أوفق لنظم القصة لأن الاستنباء بعد الهجرة في المراجعة)[٧٤].

---

(٧٢) راجع النكت والعيون للماوردي ٤/ ٢٤٠، ٢٤١ – مكتبة المؤيد – الرياض ١٤١٢هـ.
(٧٣) جامع البيان ٢٠/ ٢٧، ٢٨، معالم التنزيل ٣/ ٤٣٨، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٥٨، وأنوار التنزيل ١/ ٢٣٤، وفتح القدير ٤/ ١٦٣، وفى ظلال القرآن ٥/ ٢٦٨١.
(٧٤) أنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ٢٨٦.

إذن فقد آتى الله موسى عليه السلام قبل بعثته (العقل، والفهم، والفقه فى الدين، والمعرفة بدين آبائه، وبالجملة فقد أعطاه الله سيرة الحكماء والعلماء وسمتهم حتى كان لايقول ولايفعل ما يستجهل منه).

يقول سيد قطب مصوراً لهذه الفترة من حياة موسى عليه السلام:

(رأى موسى بعينيه كيف يشقى بنو إسرائيل لينعم فرعون وأهله؟ وكيف يجوع بنو إسرائيل لتشبع دواب فرعون؟ وكيف يعاملون بنى إسرائيل معاملة الدواب؟ وكيف يستخدمونهم ويسومونهم سوء العذاب؟ كان موسى يرى ذلك فيسكت. ولكن يغيظه ذلك. وكيف لايغيظه إهانة قومه وأسرته وهم أبناء الأنبياء الصالحين الكرام؟.. ولاشك أن نفسه لم تسترح للحياة فى ظل الأوضاع الفرعونية الآسنة التى لاتستريح لها نفس مصفاه مجتباة كنفس موسى عليه السلام. وبخاصة أن أمه لابد أن تكون قد عرفته من هو؟ ومن قومه وما ديانته؟ وهو يرى كيف يسام قومه الخسف البشع والظلم الشنيع والبغى اللئيم، وهو يرى أبشع صورة للفساد الشائع الأثيم. وسياق الأحداث يدل على ذلك والتعقيب على إتيانه الحكمة بقوله تعالى (وكذلك نجزى المحسنين) يشي كذلك بأنه أحسن، فأحسن الله إليه بالحكمة والعلم)[٧٥].

وقائع الحدث:

لم تنقطع هذه الحياة إلا جراء حادث وقع فيه موسى عليه السلام كان له من الآثار البالغة فى حياته قبل بعثته عليه السلام، ويحسن بنا – هنا – أن ننقل رواية العهد القديم، وهى تصور هذا الحادث فتقول:

(وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته؛ لينظر فى أثقالهم. فرأى رجلا مصريا يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته. فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أن ليس أحد، فقتل المصري وطمره فى الرمل. ثم خرج فى اليوم الثانى، وإذا رجلان عبرانيا ن يتخاصمان. فقال للمذنب: لماذا تضرب صاحبك.

(٧٥) فى ظلال القرآن ٥/ ٢٥٩١.

فقال: من جعلك رئيساً وقاضياً علينا. أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصرى. فخاف موسى، وقال: حقا قد عرف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر، فطلب أن يقتل موسى. فهرب موسى من وجه فرعون، وسكن أرض مديان، وجلس عند البئر)[٧٦].

وأول ما نلمحه فى هذه الرواية أننا نجد أنفسنا أمام شخصية لاتمت إلى شخصية النبى الكريم موسى – الذى يصنع على عين الله – بصلة، فالرواية لاتربط بين موسى عليه السلام وبين أي من الصفات التى عرضناها له فى الصفحات السابقة، كالعلم والحكمة والعقل والإحسان وما إلى ذلك، تقول الرواية:

(فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته. فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره فى الرمل..) إن التلفت صفة سنجدها لموسى عليه السلام فى أحداث مقبلةفى حياته، ولاشك أن المجتمع المصرى آنذاك – والذى كان يعبد فرعون ويشاركه وجنوده مطاردة العبرانيين وإذلالاهم وقتل أبنائهم كل ذلك كان يجعل موسى يخشى من فعلته، فيأتى التلفت منه بعد الفعل لاقبله، كما قال عنه الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص ١٨).

والترقب – أي التلفت والانتظار والخوف – بعد هذا الفعل تصرف طبيعى، يؤكد عدم عزم موسى على هذه الفعلة التى قتل فيها القبطى، وأما رواية العهد القديم فتؤكد إصرار موسى عليه السلام على ارتكاب حادث القتل (بأعصاب باردة) فقد تلفت قبل الحادث، وتأكد أن أحداً لايراه، فقتل القبطي وطمره فى الرمل، أى قتل ودفن، وذلك يستغرق وقتاً ليس بالقليل.

ومما لاشك فيه أن هذه الرواية قد أصابها – كما أصاب غيرها من روايات العهد القديم – الكثير من التحريف، فقيام موسى عليه السلام – كما تقول رواية العهد القديم بدفن القبطى فى الرمل محاولة منه لطمس معالم

(٧٦) خروج ٣/١١ – ١٥ ص ٨٩.

الجريمة حتى لايعرفها أحد، ولايطلع على سره بشر سوى هذا الشخص الذى رآه، والذى يعد وجوده كافياً لصرف موسى عن إجهاد نفسه فى دفن هذا العدو القبطى. كما أن ذلك يشي بشكل صريح إلى المكر والدهاء فى عملية القتل وهى أوصاف يبرأ منها موسى – كليم الله عليه السلام.

وينتقل كاتب العهد القديم فى تصوير نبى الله موسى بعد طمس هذه الفعلة وإضاعة معالمها فيقول:

(ثم خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيا ن يتخاصمان. فقال للمذنب: لماذا تضرب صاحبك؟ فقال: من جعلك رئيساً وقاضياً علينا؟ أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى؟) وفى هذا دليل على التحريف الذى أصاب هذه الرواية، نلمح ذلك فى إغفال كاتب الرواية لسبب المشاجرة، وبخاصة عندما تنص على أن المتشاجرين كانا من العبرانيين، أى أنهما ينتميان لدين واحد، ويعيشان ظروفا واحدة من القهر والاستعباد والإذلال الفرعونى، فما الداعى لشجارهما؟.

وعندما يتدخل موسى عليه السلام فى هذه المرة لفض النزاع بين اثنين من بنى دينه يواجه برد غليظ يكشف عن طبيعة الشخصية اليهودية، وسوء أدبها مع أنبيائها؛ إذ يقول هذا العبرانى لموسى عليه السلام : (من جعلك رئيساً وقاضياً علينا؟ أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى؟)!! إنه التنكر للمعروف فى كل وقت، ومع كل شخص، حتى ولو كان موسى عليه السلام الذى سبق وأن ذكرنا أنه قد رفع عن بنى إسرائيل كثير من الظلم الفرعونى بسببه، وإن كان الانتماء لدين واحد! وإن كان موسى يريد إحقاق الحق وإزهاق الباطل، إنه الرد الفظ الغليظ الذى يلازم بنى إسرائيل مع أنبيائهم على مدى تاريخهم الحافل بمثل هذه المخازى!!

بل لم يكتف هذا الإسرائيلى بإساءة الأدب لمن دافع عنه بالأمس القريب، ويريد أن يعدل بينه وبين خصمه فى هذا الموقف القريب، وإنما تطوع بإيذاء موسى عليه السلام، فذهب وأفشى إلى فرعون ما رآه من موسى بالأمس القريب من قتل للمصرى – الذى هو عدو له ولموسى فى آن واحد – هكذا صور كاتب العهد القديم هذا الحادث على هذا النحو الذى يكشف بجلاء عن

الطبيعة اليهودية التى تتخذ من الأنانية معيناً لها وسلوكاً فى حياتها. وكان نتيجة ذلك كما تقول رواية العهد القديم: (فخاف موسى، وقال: حقاً قد عرف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر، فطلب أن يقتل موسى) فتلك نتيجة الوشاية النكراء التى فعلها العبرانى فى موسى الذى دافع عنه بالأمس القريب!!

وأما القرآن الكريم: فقد تناول هذا الحدث فى صورة تتناسب مع طبيعة هذه الشخصية التى تؤهل لتكون من أولى العزم من الرسل ففى سورة القصص قال تعالى:

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وفى موضع آخر من السورة نفسها يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

وفى سورة طه قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾.

وقال تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

ويمكن لنا أن نرصد ملاحظات عامة حول هذه الآيات:

– أولا: إن ماورد فى سورة القصص هو أكثر الآيات تفصيلا لهذا الحادث، وأما ماورد فى بقية السور فهو مختصر ومجمل.

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا التفصيل فى سورة القصص كان غاية فى الإجمال إذا قورن بما ورد فى العهد القديم وبما رواه المفسرون فى كتبهم من روايات حول هذا الحادث، وهذا هو أسلوب القرآن دائماً، إذ يقصد إلى العبرة والعظة فى القصة بأقصر طريق وفى أوجز عبارة، ففى سورة القصص – وهى أكثر السور تناولاً لهذا الحادث – نجد أن التعبير عنه لم يستغرق آية كاملة، وإنما كان مختصراً فى نصف آية، فقال سبحانه: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ إن الحدث فى هذه الكلمات الموجزة التى لاتتعدى أربع كلمات يستغرق صفحات طويلة فى بيانه وشرحه وتفسيره، لكنها طريقة القرآن المعجزة.

ثانيا: إن التعبير عن هذا الحادث بتلك الكلمات الأربع لم يتكرر فى بقية السور القرآنية، وإنما كان التعبير عنها بقوله تعالى: ﴿فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ فى السورة نفسها، وفى سورة طه ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾، وفى سورة الشعراء ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾، وفى المواضع الثلاثة لانجد تفصيلا أو توضيحا لما ورد للمرة الأولى فى سورة القصص، بل على العكس نرى اختصاراً، بل كنى الله فى سورة الشعراء عن هذا الحادث بلفظ (فعلة) وكأنه سبحانه لايريد ذكرها وتكرارها.

– وأما الملاحظات التفصيلية حول هذه الآيات:

أولا: قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ لا يوحى بأن موسى كان يعيش بمنأى عن قصر فرعون، بل ربما كان بعيدا عن المدينة التى وقع

فيها هذا الحادث، وقد حاول المفسرون أن يوفقوا بين ما ذكرناه آنفا من التأكيد على أن موسى عاش فترة شبابه فى قصر فرعون وبين دخوله المدينة على حين غفلة، والقرآن – كما أشرنا آنفاً لايعنى بالتفاصيل والجزئيات؛ ولذا فلا يذكر شيئا عن المدينة التى دخلها موسى، ولا عن اهتبال موسى لغفلة أهلها، ولذلك فالذى يتبادر إلى الذهن قبل أن نسمع أقوال المفسرين أن موسى عليه السلام كان فى نهاية شبابه واستواء خلقه وخلقه قد ضاق ذرعاً بما يراه فى قصر فرعون، فأخذ يهجره شيئاً فشيئاً، ويخالط بنى إسرائيل، ويتعرف على شؤونهم وحياتهم، وما هم فيه من ظلم فرعونى، وأقوال المفسرين ترجح هذا الذى ذكرناه، فقد روى البغوي عن ابن إسحاق: (أن موسى كان أعلن عداءه لفرعون وفر منه إلى مدينة منف، وكان لموسى تسعة من بنى إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به، ويجتمعون إليه، وكان هذا قبل النبوة)(٧٧).

ويقول سيد قطب: (لقد دخل موسى المدينة على كل حال (فوجد فيها رجلين يقتتلان). وقد كان أحدهما قبطياً – يقال: إنه من حاشية فرعون، ويقال: إنه طباخ القصر. والآخر إسرائيلى. وكانا يقتتلان، فاستغاث الإسرائيلى بموسى مستنجداً به على عدوهما القبطى: فكيف وقع هذا؟ كيف استغاث الإسرائيلي بموسى – ربيب فرعون – على رجل من رجال فرعون؟ إن هذا لايقع إذا كان موسى لايزال فى القصر، متبنى، أو من الحاشية. إنما يقع إذا كان الإسرائيلى على ثقة من أن موسى لم يعد متصلاً بالقصر، وأنه قد عرف أنه من بنى إسرائيل. وأنه ناقم على الملك والحاشية، منتصر لقومه المضطهدين. وهذا هو الأنسب لمن فى مقام موسى – عليه السلام – فإنه بعيد الاحتمال أن تطيق نفسه البقاء فى مستنقع الشر والفساد..)(٧٨).

وهذا الذى ذكرناه لايتنافى مع ما أكدناه سابقا من أن موسى عليه السلام قد تربى فى قصر فرعون من رضاعه إلى شبابه فإن هذا الحادث قد حدث فى نهاية مرحلة شبابه وقبل نبوته وهى المرحله تبدأ فيها ملامح الشخصية الموسوية فى التشكل.

ثانيا: إن الآيات القرآنية – تنص بوضوح – على سبب تدخل موسى عليه

---

(٧٧) معالم التنزيل ٣/٤٣٨.

(٧٨) فى ظلال القرآن ٥/٢٦٨٢.

السلام فى هذا الشجار الذى كثيراً مايحدث بين الأشخاص فى مجتمع يضم قومين مختلفين فى عقيدتهما: بنو إسرائيل وعقيدتهم التوحيد، والقبط وعقيدتهم عبادة فرعون من دون الله، وعلى ما يبدو أن هذا الخلاف كان مصدر الشجار بين هذين الرجلين، وفى الآية ما يدل على ذلك يقول تعالى:

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فلفظ التشيع ههنا يوحى بالمعرفة الدينية، والتحزب الدينى، إضافة إلى ما صدر عن هذا الإسرائيلى من الاستغاثة التى تتطلب من كل ذى مروءة – فضلاً عن أن يكون موسى عليه السلام وما عرف به من كريم الخلق – أن يتدخل لنصرة هذا المستغيث، ولانجد ظلاً لشيء من ذلك فى عبارة العهد القديم التى تقول: (فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته..) فليس فيها أي وصف للضارب، ولا للمضروب، سوى أن هذا مصرى، وهذا عبرانى، وهذا من شأنه أن يجعل موسى عليه السلام مع المصري الفرعونى، فقد تربى موسى فى قصر ملكهم، لكن الرواية لا تذكر شيئاً عن الأ سباب الداعية لتدخل موسى فى مثل هذا الشجار.

ثالثا: لم يكن موسى عليه السلام فى تدخله بين هذين الرجلين المتشاجرين يعمد إلى قتل القبطى، ومانوى ذلك، ولاخطط له، وألفاظ الآية القرآنية تؤكد ذلك، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ فالوكز فى اللغة: هو الطعن، والدفع، والضرب بجميع الكف)[٧٩].

---

(٧٩) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٧٢ – الراغب الأصفهانى – تحقيق محمد سيد كيلانى دار المعرفة – بيروت – لبنان – د. ت، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٣١، ولهذا يقول القرطبي فى بيان معنى الوكزة الصادرة من موسى عليه السلام: (والوكز واللكز واللهزواللهد بمعنى واحد، وهو: الضرب بجمبع الكف مجموعاً كعقد ثلاثة وسبعين. وقرأ ابن مسعود: فلكزه. وقيل: اللكز في اللحي والوكز على القلب. وفي مصحف عبد الله بن مسعود: فنكزه بالنون، والمعنى واحد، ولهده لهداً: أي دفعه، فهو ملهود، وقالت عاشة رضي الله عنها: "فلهدني ـ تعني النبي صلى الله عليه وسلم لهدة أوجعتني" ففعل موسى عليه السلام ذلك، وهو لا يريد قتله، إنما قصد دفعه فكانت فيها نفسه).
والحديث فى صحيح الإمام مسلم – كتاب الجنائز – حديث رقم (١٦١٩) – دار إحياء التراث العربى – مصر – ١٩٨٥.

وعلى كل حال فلم يكن موسى بهذه اللكزة يقصد القتل، وإنما أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون ذلك ابتلاء لشخصية موسى، عليه السلام، وهى الشخصية القوية ذات النفس الثائرة على ظلم فرعون الواقع على قومه من فرعون وجنده، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عن هذه الفعلة فى موضع آخر: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾؛ فقد اعتبر عبد الله بن عباس هذا من الفتون التى فتن الله بها موسى عليه السلام – [٨٠].

قال ابن عباس فى حديث الفتون الطويل: (فبينما موسى عليه السلام يمشى فى ناحية المدينة، إذ هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعونى والآخر إسرائيلى، فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى، فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً؛ لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بنى إسرائيل، وحفظه لهم، لايعلم الناس إلا أنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى، إلا أن يكون الله سبحانه أطلع موسى عليه السلام من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره، ووكز موسى الفرعونى فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلى، فقال موسى حين قتل الرجل: هذا من عمل الشيطان؛ إنه عدو مضل مبين، ثم قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص)[٨١].

رابعا: إن نتيجة هذا الابتلاء أو الافتتان على شخصية موسى عليه السلام يختلف فى رواية العهد القديم عنه فى آيات القرآن الكريم، فبين النتيجتين بون شاسع، ففى رواية العهد القديم نرى أن موسى عليه السلام بعد قتل القبطى يطمره فى الرمل، تقول الرواية: (فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد، فقتل المصرى وطمره فى الرمل. ثم خرج فى اليوم الثانى..).

---

(٨٠) (والفتون: مفردها: فتنة، وهى الاختبار، وجعلت كالبلاء فى أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما فى الشدة أظهر وأكثر استعمالا).. المفردات فى غريب القرآن ص ٣٧٢.

(٨١) السنن الكبرى – للنسائى ٣٩٩/٦ كتاب التفسير حديث رقم (١١٣٢٦) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ.

فالأمر قد انتهى فى اليوم الأول بدفن القتيل القبطي فى الرمل والتخلص من آثار الجريمة.

وأما القرآن الكريم فقد أبرزت الآيات الجانب الإيمانى فى شخصية موسى عليه السلام الذى لم يكن قد بعثه الله آنذاك، ففى الآيات نرى ندمه على فعلته وعزوها للشيطان المضل المبين: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

ثم استطرد فى فزع مما دفعه إليه الغضب، يعترف بظلمه لنفسه أن حملها هذا الوزر، ويتوجه إلى ربه طالبا مغفرته وعفوه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ولما أحس موسى عليه السلام بقلبه المرهف وحسه المتوفز فى حرارة توجهه إلى ربه أن ربه غفر له قطع على نفسه عهدا قائلا: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾(٨٢).

فقد علم موسى عليه السلام أن فعلته هذه ليست من أعمال المصلحين، ولاتتفق مع ذوى الخلق الرفيع والعلم الصحيح والعقل الراجح، بل أنها من أعمال الشيطان، وطريق الشيطان لايتفق مع مايعد موسى له نفسه من قيادة لبنى إسرائيل سلالة الأنبياء!

وكشفت هذه الفعلة عن قلب موسى عليه السلام المنيب الخائف من ربه سبحانه وتعالى، فلجأ إلى الله سبحانه وتعالى فى ضراعة وابتهال طويل، حتى اطمأن قلبه أن ربه قد عفا عنه وزر هذه الفعلة التى وقع فيها دونما قصد أو عمد، قطع على نفسه عهداً ألا يساعد المجرمين، ولا يعاونهم، ولا يظاهرهم فى أى من جرائمهم. إذن فقد أفادت هذه الفتنة موسى عليه السلام فى بناء شخصيته، فصار متنبهاً لهمزات الشيطان ونفثه وغضبه ووسوسته، وتبين له

---

(٨٢) راجع فى ظلال القرآن ٢٦٨٣/٥ وقصص الرحمن للحمصى ٤٨/٣، ٤٩ (بتصرف).

منها بعض صفات المجرمين، وذاك مقصد من مقاصد سياق هذه الحادثة فى حياة هذا النبى الكريم، ولا نجد لذلك ظلا فى رواية العهد القديم!!

خامسا: إن رواية العهد القديم لاتعطي أى تفصيل عن حالة موسى عليه السلام بعد قتل القبطي، بل تنتقل مباشرة – وعلى غير ما اعتدناه من تفاصيل العهد القديم فى كل صغيرة وكبيرة – إلى اليوم الثانى من حياة موسى، وكأن شيئاً لم يكن، ولكن الآيات القرآنية – بعد أن ذكرت هذه الحالة النفسية التائبة المنيبة الخائفة المسترجعة المستغفرة – لموسى عليه السلام – تصورها فى حالة خوف من أعدائه: فرعون وجنوده، يقول سبحانه: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ...﴾ وهنا يتأكد لدينا أن موسى عليه السلام لم يكن آنذاك من رجال القصر، وإلا: (فما أرخص أن يزهق أحد رجال القصر نفساً فى عهود الظلم والطغيان! فما كان ليخشى شيئاً فضلاً عن أن يصبح خائفاً يترقب، لو أنه ما زال فى مكانه من قلب فرعون وقصره)[٨٣].

سادسا: وحالة الترقب – أي الخوف والتلفت والانتظار أن يؤخذ موسى بما فعل – تدل على أن خبر هذه الفعلة لم يكن تحت سيطرة موسى عليه السلام حتى يمنع انتشاره وعدم وصوله إلى قصر فرعون، وهذا يزيده خوفاً وقلقاً، ولكنه وهو على هذه الحال وإذا به يسمع صارخاً ومستغيثاً، يقول سبحانه وتعالى مصورا هذه الحال: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾.

ولم ينته الأمر من هذا الإسرائيلى المشاكس عند هذا الحد، وإنما فاجأنا باستغاثة أخرى وصراخ أشد مما كان منه فى المرة الأولى؛ ففى اليوم التالى

(٨٣) فى ظلال القرآن ٥/ ٢٦٨٤، وقصص الرحمن ٣/ ٥٠.

لهذا الابتلاء الشديد الذى ابتلى الله به موسى عليه السلام، وفى هذا الظرف الصعب الذى يعيش فيه حالة الترقب والانتظار أن يؤخذ بدم القبطى الذى قتله خطأ، وأثناء سيره فى المدينة إذا هو بالإسرائيلى نفسه يتعارك مع قبطى آخر!!

لقد استجاب موسى عليه السلام لهذا الإسرائيلى نفسه عندما استغاثه فى المرة الأولى، وحدث ماحدث وهو يدافع عنه، ولازال فى حالة خوف وحذر وقلق مما نتج عن هذه الاستجابة، فإذا به يسمعه مستغيثاً بل مستصرخاً يطلب نجدته ويدعوه إلى إنقاذه، ولفظ الاستصراخ ههنا – فى الآية – مقصود لذاته فالاستصراخ استغاثة شديدة، يقول القرطبى، والشوكانى: (والاستصراخ: الاستغاثة، وهو من الصراخ، وذلك أن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث)(٨٤).

فلم يكن لموسى عليه السلام بد من إجابة هذا المستنجد به المستغيث لدفع الظلم الواقع عليه، فهذه صفات الرجال من ذوى المروءة والأخلاق، فضلاً عن أن يكون موسى عليه السلام صاحب الخلق الرفيع والسيرة الصالحة، هذا إضافة إلى أن المجتمع الذى عاش فيه موسى هذه الأحداث كلها توحي بالخوف والترقب والحذر، وموسى عليه السلام قد وهبه الله قوة وفتوة فى جسده، ورأى من المظالم الفرعونية لبنى قومه مالم يستطع معه تحمل أو صبر التأخر عن صرخة المظلوم، أو استغاثة المكلوم، وبخاصة إذا كان الصارخ المستغيث من بنى قومه، ومن أتباع دينه؛ ولذلك لبى موسى عليه السلام استغاثة المستغيث، وصرخة الصارخ، عله يدفع ظلماً واقعاً، أو ينقذ روحاً ستزهق، ولكن المفاجأة كانت فيما لم يحتسبه موسى عليه السلام، فقد وجد نفسه أمام هذا الإسرائيلى المشاكس المشاجر الذى كان بالأمس القريب فى نفس الشجار والمشاكسة مع أحد الأقباط!! وقد أغاثه موسى بالأمس، وقتل القبطى خطأ من أجله!! فلما رآه موسى عليه السلام اشتد غيظه، فخاطبه قائلا: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ قال القرطبى فى وصف غواية هذا الإسرائيلى: (والغوي: الخائب، لأنه

(٨٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٥، وفتح القدير ٤/ ٢٣٤.

يشادُّ من لا يطيقه. وقيل: مضل بين الضلالة، قتلت بسببك أمس رجلاً، وتدعوني اليوم لآخر)[٨٥] ويقول ابن كثير: (أي ظاهر الغواية، كثير الشر،)[٨٦].

واشتد غضب موسى عليه السلام على هذا الداعى المستصرخ المستغيث عندما رآه يتشاجر مع من هو أشد منه قوة وشكيمة، ويجلب بذلك على بنى إسرائيل من المتاعب الفرعونية ما لاطاقة لهم به، ولما أراد موسى أن يستعمل قوته وفتوته مع هذا القبطى أيضاً، ارتجف الإسرائيلى من منظر موسى عليه السلام وفزع منه قائلا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾.

يقول ابن جرير: (أراد موسى أن يبطش بالقبطي، فتوهم الإسرائيلي أنه يريده، لأنه أغلظ له في القول، فقال: "أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس" فسمع القبطي الكلام فأفشاه)[٨٧]. و يقول ابن كثير: (ثم عزم موسى على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه "يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟" وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى عليه السلام، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه، ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده، فعلم فرعون بذلك، فاشتد حنقه، وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك)[٨٨] ولكن النيسابورى يرى أن الذى قال لموسى عليه السلام هذه القولة هو القبطى، بل ويرى أن ذلك هو الأظهر[٨٩]، ويوافقه على ذلك سيد قطب، وينتصر لهذا الرأي، وأى كان القائل فإن لكل من الرأيين دليله:

---

(٨٥) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٥.
(٨٦) تفسير القرآن لابن كثير ٣/٥٠٨.
(٨٧) جامع البيان ٢٠ /٣١.
(٨٨) تفسير القرآن العظيم٣/٥٠٨.
(٨٩) حاشية جامع البيان ٢٠/٣٣.

فالذين قالوا: إن القائل هو الإسرائيلى عللوا ذلك بذلته وشدة خوفه من موسى عليه السلام، وأن ذلك أكثر توافقاً مع ظاهر الآية، والذين قالوا: إن القبطي هو القائل عللوا ذلك بأن هذا القول أليق بأخلاق وديانة القبطى الذى يتابع فرعون فى فساده، وبعيد عن الإسرائيلى، لأنه من قوم موسى، فحرصه على بنى إسرائيل بصفة عامة، وعلى موسى عليه السلام بصفة خاصة يمنعه من ذلك، ومن العلماء من كان موقفه وسطا كالبيضاوى والشوكانى. والراجح – والله أعلم – أن القائل هو القبطي أخذاً بظاهر الآية، ولأن اللغة التى نطق بها فى وجه موسى عليه السلام لاتصدر إلا من كافر، كما قال البيضاوى، والشوكانى. (٩٠).

وعلى كل حال فقد انصرف موسى عليه السلام عن قتل هذا القبطي بعد أن هم أن يبطش به لينقذ الإسرائيلى المستغيث المستصرخ.

والذى يلفت النظر – هنا – أن موسى عليه السلام – بعد الاستغفار والضراعة إلى الله أن يغفر له قتله للقبطى خطأ وإقراره أن هذا عمل من همز الشيطان ونفثه – يهم بقتل قبطى آخر، دفاعا عن إسرائيلى من بنى قومه، ولقد علل بعض العلماء عزم موسى عليه السلام على البطش بهذا القبطى بعد ندمه وعزمه على ألا يكون ظهيرا للمجرمين بعدة أمور:

الأمر الأول: الاضطهاد والظلم والبطش والذل والاستعباد الواقع من فرعون وجنده وملئه على بنى إسرائيل، وتطلع موسى الدائم لنصرة المظلومين من بنى قومه.

الأمر الثانى: شخصية موسى عليه السلام: (الذى انفعلت نفسه بالغيظ من القبطى، فاندفع يريد أن يقضى عليه كما قضى على الأول بالأمس! ولهذا الاندفاع دلالاته على مدى امتلاء نفس موسى – عليه السلام – بالغيظ من الظلم، والنقمة على البغي، والضيق بالأذى الواقع على بنى إسرائيل، والتوفز

---

(٩٠) وراجع فى بيان ذلك تفسير البيضاوي ١/٢٨٧، وفتح القدير للشوكاني ٤/٢٣٥، وفى ظلال القرآن لسيد قطب ٥/٢٦٨٣.

لرد العدوان الطاغى، الطويل الأمد، الذى يحتفر فى القلب البشرى مسارب من الغيظ)[٩١].

الأمر الثالث: إن موسى عليه السلام يصنع على عين الله، ويعده ربه إعداداً خاصاً، ليقود أمة مستذلة مستعبدة، ويحتاج فى سبيل إعادة هذه الأمة إلى حياة العزة والإباء، والتمسك بما كانت عليه من دين الآباء إلى تربية عميقة، وحسن سياسة، وحكمة عالية فى القيادة، ونفس طويل، وصبر جميل، وموسى عليه السلام – على الرغم مما ذكرنا له من صفات إنسانية لم يكن قد وصل إلى المرحلة التى تمكنه من مجابهة الطاغية فرعون فى الوقت الذى سيعالج فيه أمراض بني إسرائيل المستعصية.

وهذا كله لاتأتى بالدخول فى مشاحنات ومشاجرات ضررها عليه وعلى قومه – آنذاك – أكثر من نفعها.

والأمر الرابع: القدرة الإلهية التى ترعى موسى عليه السلام وهو فى اليم، ثم تنقذه من قبضة فرعون وهو فى القصر، هى التى تتولى توجيهه ورعايته فى هذا الوقت أيضاً، لتنتهى به إلى مراد الله له، وليس إلى مراد نفسه، أو مراد فرعون منه.

ولذلك لما فشا خبر قتل موسى للقبطى الأول ومحاولته البطش بالقبطى الثانى ووصل إلى فرعون قرر قتل موسى عليه السلام؛ فتدخلت القدرة الإلهية، فإذا بناصح أمين يخرج من قوم فرعون مسرعا يسابق الريح، ليخبر موسى قائلا ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ ويأمره بالخروج على وجه السرعة قائلا ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. (القصص ٢٠).

(٩١) فى ظلا ل القرآن ٥/٢٦٨.

المبحث الثالث
موسى عليه السلام فى مدين

فى العهد القديم تختم الرواية السابقة التى تحدثت عن قتل موسى للقبطى بهذه العبارة: (فسمع فرعون هذا الأمر، فطلب أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون، وسكن فى أرض مديان، وجلس عند البئر)[٩٢].

ولايرد فيها أى ذكر لهذا الناصح الأمين الذى قال لموسى – كما جاء فى القرآن–: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (القصص٢٠) وقد صورته هذه الآية أولا بأنه: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ فهذا رجل لم يصفه الله سبحانه وتعالى بأى صفة، وإنما وصف فعله، وهو: حرصه على نجاة موسى عليه السلام من القتل، ومسارعته فى إبلاغ موسى ما سمعه داخل قصر فرعون من التآمر على قتله، ولسنا بحاجة إلى ما ذهب إليه المفسرون من أنه مؤمن آل فرعون الذى ذكره الله فى سورة غافر، بعد أن – أجمعوا وقررناه آنفا – أن ذلك كان قبل بعثة موسى عليه السلام، وربما كان هذا الرجل ممن تأثروا بخلق موسى عليه السلام ومروءته وصلاحه وتقواه وعدم رضاه عما يدور داخل قصر فرعون من المظالم.

ولم يناقش موسى عليه السلام هذا الرجل فيما أبلغه به من تآمر فرعون وملئه على قتله إذا لم يهرب فوراً من المدينة، ويبدو أن الرجل كان محل ثقة موسى عليه السلام أيضاً، فنفذ موسى ما نصحه به فى التو. ونلاحظ أمراً هاما من خلال هذه الآيات هو ظهور هذا الرجل الناصح فى أصعب الظروف التى يواجه فيها موسى عليه السلام القتل، ليكون سببا ساقه الله، ليحفظ حياة موسى عليه السلام؛ كما سبق وحفظها بقدرته سبحانه فى البحر، وعبارة العهد القديم لاتشي بشيء من ذلك البتة.

---

(٩٢) خروج ٣/١١ – ١٥ ص ٨٩.

وتصور الآيات القرآنية موسى عليه السلام بعد سماعه لهذا الرجل الناصح الأمين، يقول تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

فتبرز بجلاء ودون مواربة هذا الجانب النفسى فى شخص موسى عليه السلام وهو مطارد، فهو خائف، يترقب الأخذ فى كل لحظة، ونسمع فى ألفاظها صدق اللجوء والتضرع منه إلى ربه، فيقول: ﴿رب نجنى من القوم الظالمين﴾، وأما رواية العهد القديم فتهمل بوضوح – أيضا – هذا الجانب وكأن موسى عليه السلام لايعانى أدنى مشقة وهو هارب من وجه فرعون: (فهرب موسى من وجه فرعون، وسكن فى أرض مديان) هكذا – دون أدنى خوف أو حذر أو ترقب أو حتى مشقة – (فهرب.. وسكن).

ومما يلفت النظر – هنا أيضا – أن يصف موسى قوم فرعون بـ (الظالمين) وهو وصف دقيق، يأتى من شخصية خبيرة بما رآه بعينيه فى قصر فرعون من ظلم واضطهاد لبني قومه.

ولاينقطع هذا اللجوء إلى الله فى هذا الموقف العصيب الذى فقد فيه موسى كل شيء يمكن أن يعينه فى محنته هذه، أو يعتمد عليه سوى الله سبحانه، فهو طريد شريد وحيد، لايملك زاداً يتزود به، ولا دليلاً يدله، ولا رفيقاً يؤانسه وحدته، وهنا يكون الوصف القرآنى الدقيق: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وأول الصفات الشخصية التى تبرزها هذه الآية لموسى عليه السلام هى صفة التوكل على الله، وحسن الظن به، هذه الصفة تبرز قيمتها فى هذا الوقت العصيب الذى خرج فيه موسى – كما يصفه ابن إسحاق – : (بلا زاد، ولا حذاء، ولا ظهر، ولا درهم، ولا رغيف، خائفاً يترقب) وسبقه ابن عباس واصفاً حال موسى هذه بقوله: (وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه، فقال: عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل، وهو أول ابتلاء من الله عز وجل لموسى عليه

السلام)[٩٣]، وزاد البغوي: (كان موسى قد خرج خائفاً بلا ظهر ولا حذاء، ولا زاد، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، "قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل"، أي: قصد الطريق إلى مدين، قال ذلك؛ لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها)[٩٤].

ويصور سيد قطب هذه الظروف العصيبة، فيقول: (ونلمح شخصية موسى عليه السلام فريداً وحيداً مطارداً فى الطريق الصحراوية فى اتجاه مدين فى جنوبى الشام وشمال الحجاز. مسافات شاسعة وأبعاد مترامية، لازاد ولا استعداد، فقد خرج من المدينة خائفاً يترقب، وخرج منزعجاً بنذارة الرجل الناصح، لم يتلبث، ولم يتزود، ولم يتخذ دليلاً.

ونلمح إلى جانب هذا نفسه متوجهة إلى ربه، مستسلمة له، متطلعة إلى هداه: (عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) ونجد موسى فى قلب المخافة، بعد فترة من الأمن، بل من الرفاهية والطراوة والنعمة، ونجده وحيداً مجرداً من قوى الأرض الظاهرة جميعاً يطارده فرعون وجنده، لينالوا منه اليوم ما لم ينالوه طفلا. ولكن اليد التى رعته وحمته هناك ترعاه وتحميه هنا، ولاتسلمه لأعدائه أبداً)[٩٥].

وكل ذلك وغيره من الصفات التى قالها المفسرون فى وصف موسى عليه السلام – وقتذاك – يمكن لنا أن نقبله أو نأنس به، ولكننا نلحظ فيما ذهب إليه السدى وغيره من المفسرين فى رواياتهم – من أن الله أرسل إلى موسى عليه السلام جبريل ليرشده إلى الطريق إلى مدين، أو أن الله أرشده إلى هذا الطريق بواسطة عصاً كانت فى يده أخذها من فرعون!! – روايات لاتستند إلى نقل صحيح، أو ترجيح عقلى واضح[٩٦].

وتصف رواية العهد القديم – بعد ذلك – حال موسى عليه السلام فى

---

(٩٣) جامع البيان ٢٠/٣٥.
(٩٤) معالم التنزيل ١/١٩٩.
(٩٥) فى ظلال القرآن ٥/٢٦٨٥.
(٩٦) راجع تفسير السدى الكبير، تحقيق د/محمد عطا – ص ٣٧٣ – دار الوفاء – مصر – الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ.

مديان بقولها: (وكان لكاهن مديان سبع بنات. فأتين، واستقين، وملأن الأجران؛ ليسقين غنم أبيهن. فأتى الرعاة وطردوهن. فنهض موسى وأنجدهن، وسقى غنمهن. فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن فى المجيء اليوم. فقلن رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة، وأنه استقى لنا أيضا، وسقى الغنم فقال: لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفورة ابنته. فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم؛ لأنه قال: كنت نزيلا فى أرض غريبة)[٩٧].

وفى الإصحاح التالى نستكمل قصة موسى فى مدين: (وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية، وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب..)[٩٨].

والقرآن يحدد فى آياته عددبنات كاهن مدين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ وليس بعد تحديد القرآن – وهوأ صدق المصادر على الإطلاق – مناقشة لما ادعاه كاتب العهد القديم.

كما لم يسم القرآن الكريم اسم أبيهما، ولم يحدده، وإنما وصفه بأنه شيخ كبير، وأنه آوى موسى عليه السلام، وطمأنه بعد خوفه، واتفق معه على الزواج من إحدى ابنتيه، لكن المفسرين ثار بينهم الخلاف حول هذه الشخصية، فمنهم: من قال: إنه النبى شعيب عليه السلام[٩٩]، ومنهم من قال: إنه ابن أخي

---

(٩٧) خروج ٢/١٥ – ٢٥ – ص ٨٩.

(٩٨) خروج ٣/٢، ١ص ٩٩، ٨٩.

(٩٩) ومن هنا، ولهذا السبب ساير الدكتور طه وادي فريقاً من المفسرين فى قولهم: إنه شعيب النبى، فقال: (والمعروف والشائع: أنه شعيب نفسه. وهناك حديث يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا الرأى ويدعمه، وهو قوله: (أصدق النساء فراسة امرأتان، كلتاهما تفرستا فى موسى فأصابتا، إحداهما: امرأة فرعون حين قالت: قرة عين لى ولك، لاتقتلوه، والأخرى: بنت شعيب حيث قالت: ياأبت، استأجره، إن خير من استأجرت القوى الأمين) راجع أولو العزم من الرسل ص ١٢٣. =

شعيب، ومنهم: من قال: إنه رجل صالح من أهل مدين،[١٠٠] ولاشك أن شخصية هذا الرجل سيكون لها من التأثير الواضح على موسى عليه السلام، وبخاصة إذا كان موصوفاً بالصلاح، فما بالنا لوكان نبي الله شعيب؟.

وحسم الخلاف حول نبوة هذا الرجل الصالح أو عدمها ليس مجاله فى بحثنا هذا، ومايعنينا من ذلك سوى العلاقة بينه وبين موسى عليه السلام، وما نتج عنها من تهيئة لموسى عليه السلام قبل بعثته، وهو ما سنحاول البحث عنه فى رواية العهد القديم التى تصف هذه العلاقة على هذه الصورة: (فأتين، واستقين، وملأن الأجران؛ ليسقين غنم أبيهن، فأتى الرعاة وطردوهن. فنهض موسى، وأنجدهن، وسقى غنمهن، فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن فى المجئ اليوم؟ فقلن: رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة، وأنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفورة ابنته. فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم. لأنه قال: كنت نزيلا فى أرض غريبة).

لانستطيع أن ننقد هذا النص الذى تبدو فيه الركاكة من الناحية اللغوية،

= والذى قاله الدكتور لايسلم من المنازعة، وذلك فيما يلى:
١ – المصدر الذى اعتمد عليه الدكتور هو كتاب عرائس المجالس للثعالبى، وهو من الكتب المليئة بالغرائب والعجائب والأساطير، فضلا عن الإسرائيليات، فليس من بين كتب الحديث المعروف، ولا من كتب السير المحققة.
٢ – إن العهد القديم وسم هذا الرجل بـ (كاهن مدين) والقرآن الكريم لم يسمه باسم معين، وكذلك لانجد فى كتب الحديث الصحيح ما يدل على أنه النبى شعيب عليه السلام (راجع حديث الفتون، وهو أصح الأحاديث الواردة بهذا الصدد)، ولسنا بحاجة إلى التكلف فى ذلك، طالما أنه لم يرد فى مصدر صحيح.
٣ – إن مانقله الدكتور عن عرائس المجالس قد ورد شبيه به عن ابن مسعود، وهو قوله: (أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته: أكرمى مثواه، وصاحبة موسى حين قالت: يا أبت استأجره، وأبو بكر حين استخلف عمر) وأخشى أن يكون قد التبس الحديث بالأثر ٤ – إن ابن كثير قد أشا ر فى قصصه إلى ورود حديث بهذا الشأن، لكنه لم يذكره، ولو صح عنده لذكره، بل قال: فى إسناده نظر.

(١٠٠) قصص الأنبياء ص٢٩٢.

لأنه مترجم عن لغات أخرى، لاتينية أو غيرها، لكن مفهوم النص يوحي بالتناقض: فكيف يمكن أن يستقيم الأسلوب اللغوى بين قول الكاتب: (فأتين، واستقين، وملأن الأجران، ليسقين غنم أبيهن) وبين قوله: (فأتى الرعاة وطردوهن): فالعبارة الأولى تبين أن بنات هذا الرجل أتين، واستقين، وملأن الأجران. وكلها – كما ترى – أفعال ماضية تدل على انتهاء الحدث – وفعلن ذلك ليسقين الغنم، وبهذا المعنى يكنَّ قد سقين الغنم فعلاً، وإذا كان ذلك كذلك فلا معنى لطرد الرعاة لهن وقد انتهين من السقيا!

وإذا كان الأمر كذلك فما ضرورة تدخل موسى – إذن – حتى يقول كاتب الرواية: (فنهض موسى، وأنجدهن، وسقى غنمهن)؟

وعدا هاتين الصفتين: النهوض والنجدة الواردتين فى قول الرواية (فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن) لانرى لموسى فى هذه الرواية أي صفات دينية، أو حتى صفات إنسانية أخرى، مع ملاحظة أن هذه الرواية ستنتهى بظهور ملاك الرب لموسى عليه السلام وهذا يعنى بعثة موسى واصطفائه على بنى إسرائيل.

وأما الوصف القرآنى لحال موسى آنذاك فإضافة إلى صفتى النهوض والنجدة فقد خلع على موسى صفات أخرى كالرحمة والشفقة والمروءة من رجل غريب وحيد مطارد يرى فتاتين ضعيفتين وسط ثلة من الرعاة الأشداء الأقوياء، وتريدان السقيا لغنمهما؛ فتتحرك فى نفس موسى عليه السلام نخوة الرجال ورحمتهم بهاتين الضعيفتين، بل وتتحرك داخله صفة إحقاق الحق ووضع الأمور فى نصابها الصحيح.

فالأولى بهؤلاء الرعاة أن يقوموا بالسقيا لهاتين المرأتين، ولايتركوهما للخروج ومدافعة الرجال، أو ينتظروا ويفسحوا لهما لتسقيا فى أمان، لكن شيء من ذلك لم يحدث، بل حدث عكس ذلك، فقد حاولتا هاتان المرأتان الذود عن غنمهما، ودفع الرعاة عنهما، وهنا كان لابد أن يتدخل موسى عليه السلام لسؤالهما (ماخطبكما؟) وهذا السؤال غاية فى الدقة والبلاغة، فالعرب عندما

تطلق هذا السؤال إنما يدل على أن السائل يرى أمامه أمراً هاماً، أو مصيبة ما، أو شراً يقع أمامه، ولذلك قال الراجز: ياعجباً ما خطبه وخطبى[١٠١].

ولذلك يقول ابن عطية: (وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو فى مصاب، أو مضطهد، أو من يشفق عليه.. فكأنه بالجملة فى شر)[١٠٢].

إنها فراسة موسى عليه السلام فى معرفة ما تعانيه امرأتان فى زحام من الرعاة، إنها الشفقة والرحمة التى عبر عنها ابن إسحاق فى قوله يصف موسى عليه السلام: (وجد لهما رحمة، ودخلته فيهما خشية؛ لما رأى من ضعفهما، وغلبة الناس على الماء. فقال لهما: ما خطبكما؟)[١٠٣] فلما أبانتا عن خطبهما المتمثل فى ضعفهما بسبب الأنوثة، وضعف أبيهما؛ لأنه شيخ كبير، تقدم موسى عليه السلام فسقى لهما ثم تولى إلى الظل. يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ....﴾ (القصص: ٢٣).

وهنا تبرز الآيات لموسى عليه السلام صفات أخرى هامة: كوضع الأمور فى نصابها، وإحقاق الحق، ودفع الباطل، فالأولى بالمجتمع إذا كان مستقيم الفطرة صالح الطوية – أن تسقي النساء أولا؛ لضعف جنسهن عن الرجال، فإذا كان الحال لامرأتين فقط لهما أب شيخ كبير ضعيف لايستطيع القيام بما يقوم به الرعاء الأشداء كان الأولى عند أهل المروءة والشهامة والصلاح أن تسقيا أولا قبل الرجال، لكن موسى عليه السلام وجد الأمر على غير ما تقتضيه الفطر السليمة والقواعد المستقيمة فأبى: (وهو مكدود قادم من سفر – طويل – أن يقعد عن تلبية دواعى المروءة والنجدة والمعروف وإقرار الحق الطبيعى الذى تعرفه النفوس السليمة. فسقى لهما)[١٠٤].

ومن أبرز الصفات التى نراها لموسى عليه السلام فى هذا الموقف أيضاً:

---

(١٠١) جامع البيان ٢٠/٣٦.
(١٠٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٢٦٩.
(١٠٣) جامع البيان ٢٠/٣٦.
(١٠٤) فى ظلال القرآن ٥/٢٦٨٦ وقصص الرحمن ٣/٥٦.

صفة القوة النفسية والإيمانية والبدنية، نلمح ذلك فى اليسر والسهولة التى يفيض بها التعبير القرآنى من قوله تعالى: (فسقى لهما) بعد ما عرضت لنا الآيات مشهداً حافلاً بالتزاحم فى قوله تعالى: (أمة من الناس يسقون) والتدافع فى قوله (امرأتان تذودان) ففى ذلك دلالة واضحة على قوة موسى الجسدية أولاً والإيمانية والنفسية ثانياً، تلك التى رأيناها آنفا فى نصرته للإسرائيلى، ورأيناها فى جلده الواضح فى مكابدته مشاق الطريق فى السير من مصر إلى مدين، حتى إذا ماوصل إلى مدين – متعباً مكدوداً منهوك القوى – إذ به أمام أمر يحتاج إلى بذل كل ما تبقى من قواه، ليسقي لهاتين المرأتين الضعيفتين، فيدفع الرعاة ويدفعوه، ويزاحمهم ويزحموه، حتى يصل إلى مراده، وهو السقيا لهما، فلولا ماكان فى نفس موسى عليه السلام من قوة إيمانية لإحقاق الحق وما كان عليه من قوة جسدية ما هابه الرعاة وما سمحوا له بالسقيا.

وقد أورد المفسرون – ههنا – روايات عدة تظهر قوة موسى الجسدية، فمنهم: من قال إنه رفع حجراً كان على فم البئر لايرفعه سوى عدد من الرجال، ومنهم: من قال: إنما زاحم الناس فزحمهم، وإن كان الرأى الأخير أقرب إلى بيان ما فى شخصية موسى من القوة الإيمانية والجسدية معاً، وليس القوة الجسدية فقط[١٠٥].

ومن الصفات الموسوية التى تبرزها الآيات القرآنية: مانراه فى قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

فهذا الدعاء، وتلك الضراعة، وصدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى فى هذا الظرف العصيب: هو ما يليق بشخصية موسى عليه السلام عندما يلجأ إلى ربه داعيا: (رب إنى لما أنزلت على من خير فقير) والخير الذى يطلبه موسى عليه السلام فى دعائه خير عام وشامل: فالأمن خير، والمأوى خير، والمال

(١٠٥) راجع تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٠١/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/١٣ – ٢٦٩.

خير، والصلاح خير، والقوة خير، والصبر خير.. إلخ، ولايمكن حصره فيما ذهب إليه المفسرون قديما من أنه: (كان لم يذق طعاماً سبعة أيام وقد لصق بطنه بظهره، فعرض بالدعاء، ولم يصرح بسؤال، هكذا روى جميع المفسرين: أنه طلب في – هذا الكلام – ما يأكله، فالخير يكون بمعنى الطعام، كما في هذه الآية)[١٠٦] فما الدليل عند المفسرين فى أن الخير الذى طلبه موسى عليه السلام فى دعائه ينحصر فى الطعام؟

ولم أجد فيما بحثت فيه من مصادر ما يثبت إجماعهم، اللهم إلا رواية عن عبد الله بن عباس، أو مجاهد، ولاشك أنهما قد نظرا إلى ما لاقاه موسى عليه السلام فى سفره ماشياً على قدميه من مصر إلى مدين فعبرا عن الخير بالطعام. [١٠٧]

والخير الذى طلبه موسى عليه السلام فى دعائه لايمكن قصره – من الناحية اللغوية – على الطعام؛ لأن الخير كما يقول الراغب الأصفهانى: (ما يرغب فيه: كالعقل، والعدل، والفضل، والشيء النافع)[١٠٨].

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المفسرين ذهب فى وصفه لدعاء موسى عليه السلام ربه بالخير إلى تحديد عجيب فقال: (إن موسى رفع صوته بدعائه ليسمع المرأتين. ليكون ذلك أدعى لدعوتهما له!!)[١٠٩].

ولاشك أن هذا القول مجرد اجتهاد من قائله؛ لأن مسألة رفع الصوت لإسماع المرأتين لابد فيها من نقل صحيح، من راو سمع ذلك بأذنيه!!، وليس ذلك كذلك، ومن هنا كان الإمام النيسابورى على صواب فى تضعيفه لهذه الرواية قائلا: (وضعفت هذه الرواية بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين

---

(١٠٦) المصدر السابق ١٣/ ٢٤٠.
(١٠٧) راجع الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٧٠ – ٢٧٨.
(١٠٨) المفردات فى غريب القرآن ص١٦٠.
(١٠٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مطبوع على حاشية جامع البيان للطبري٢٠/ ٤٠ وهى رواية النيسابورى عن عطاء بن رباح.

بالله، فلا يليق بالنبى، وقد روي أنها حين قالت: [ليجزيك]. كره ذلك، ولما قدم إليه الطعام امتنع، وقال: إنا أهل بيت لانبيع ديننا بدنيانا، ولا نأخذ على المعروف ثمنا..)[١١٠] تلكم هى الصفات اللائقة بكليم الله موسى عليه السلام.

وتنتقل الآيات القرآنية بعد ذلك مباشرة إلى استجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه موسى عليه السلام فإذا بإحدى هاتين المرأتين تدعو موسى عليه السلام للقاء أبيها، ليجزيه أجر السقيا. يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص ٢٥) لاشك أن المرأتين قد قصتا على أبيهما ما كان من شأن موسى عليه السلام، وما صنعه معهما من معروف، وأن ذلك ربما استغرق وقتا ما، لكن السياق القرآنى لايبرز شيئاً من ذلك، فالعبرة التى تريد الآيات أن تبرزها لجوء موسى لربه وقت الضيق، وبيان القدرة الإلهية فى الاستجابة السريعة له؛ ليكون حاضراً فى الأذهان دائما أن هذه القدرة لاتترك نبى الله موسى عليه السلام لحظة من لحظات الضيق أو السعة، وأما رواية العهد القديم فإن العقل البشرى الذى حرفها لايستوعب مثل هذه العبرة من سياق القصة الموسوية، ولذلك أتى بالتفاصيل التالية.

تقول الرواية: (فلما أتين إلى رعوئيل أبيهن قال: ما بالكن أسرعتن فى المجيء اليوم؟ فقلن رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة، وأنه استقى لنا أيضا، وسقى الغنم فقال لبناته: وأين هو؟ لماذا تركتن الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاما. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفورة ابنته. فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم. لأنه قال: كنت نزيلا فى أرض غريبة) إننا لاننكر ما يشير إليه مضمون هذه الرواية من غيرة الرجل الصالح على ابنتيه من خلال سؤاله لهما: (ما بالكن أسرعتن فى المجيء اليوم؟)، ولكن للأسف سرعان ما نكتشف

---

(١١٠) جامع البيان ٢٠/ ٤٠.

ضياع هذه الغيرة فيما تسجله الرواية عن بنات الرجل اللّائى يصفن موسى عليه السلام بأنه رجل مصرى، ويسكت أبوهما – هذا الرجل الصالح كاهن مدين – على هذا الوصف مع علمه – بصفته كاهنا كما ورد بالرواية – بما كان عليه المصريون آنذاك من عبادة لفرعون، وظلم واستعباد لبنى إسرائيل أهل التوحيد آنذاك!!

وبدلا من أن تبرز هذه الرواية الجوانب التى تؤهل موسى عليه السلام لتلقى الوحى الإلهى نجدها تهتم بتحديد الأسماء التى لاتعطى المعرفة بها كثير فائدة: مثل رعويل، وصفورة، وجرشوم.

والغريب أن تتسرب هذه التفاصيل التى لم ترد فى الآيات القرآنية إلى كتب التفسير من خلال الروايات الإسرائيلية، على نحو ما ورد فى تفسير الطبرى، والبغوي، والقرطبى، وغيرهم فى تفسيرهم لهذه الآيات(١١١)، وأولى بنا أن نلمح من خلال الآيات هذه الصفات التى ذكرتها الفتاة التى ذهبت لدعوة موسى عليه السلام فهى: ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ فكأن الحياء من شدة ظهوره فى محياها قد صار بساطاً تسير عليه، وتتكلم فى وضوح دونما تلعثم أو خضوع، بل تبلغ رسالة أبيها فى وضوح: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

وكما أبرزت الآيات صفات موسى عليه السلام، وصفات الفتاة، أشارت – أيضا – إلى شيء من صفات هذا الرجل الصالح، فقال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فموسى عليه السلام يحتاج إلى الأمان، وهاهو يجد الحماية والمأوى، بل والعمل والرزق والزوجة عند هذا الرجل الصالح الذى لانشك أنه بعد سماع ما قصه عليه موسى عليه السلام قد تأكد من صلاحه وتقواه ومكانته عند الله سبحانه وتعالى.

---

(١١١) جامع البيان ٢٠/٣٦، وتاريخ الأمم والملوك ١/٢٠٣ ومعالم التنزيل ٣/٤٤١، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٧٠.

زواج موسى عليه السلام:

ونستكمل الصورة المضيئة التى رسمتها الآيات، ففى جو مفعم بالحياءوالعفة، والطهارة والصراحة والوضوح يتم زواج موسى عليه السلام، من إحدى ابنتى هذا الرجل الصالح، يقول سبحانه وتعالى فى الآيات التى تصور ذلك: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

يبدأ زواج موسى عليه السلام من ابنة هذا الرجل الصالح بهذه الكلمات التى تطلب فيها هذه الفتاة من أبيها أن يرفع عنها عناء العمل فى رعى الغنم ومزاحمة الرجال فى السقيا، وطبيعة المرأة العفيفة الطاهرة تأبى القيام بأعمال الرعاة، ومزاحمتهم على آبار المياه للسقيا، وها هى الفرصة قد واتتها، فهذا رجل ساقه القدر فى حينه، وهو وحيد غريب فقير مطارد مضطهد بعد هروبه من عدوه الذى يريد قتله، فلماذا لاتعرض على أبيها أن يستأجره، ليكفيها هذا العمل الشاق وتبتعد هى – بذلك – عن مزاحمة الرجال، وتعود إلى دارها؛ لتعيش كما يعيش بنات جنسها فى بيتها؟.

ومن فراسة هذه الفتاة الواضحة أن تسوق لأبيها من صفات موسى عليه السلام – هذا الرجل الغريب – ما يجعله أهلا لهذه الوظيفة، فتقول لأبيها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

والقوة واضحة فيما فعله موسى عليه السلام فى مدافعة الرعاة ومزاحمتهم والسقيا لها هى وأختها فى سهولة ويسر، وأما أمانته فلم تر منه هذه الفتاة انتهازاً لضعفها وأختها وهما على البئر بين الرجال، ولا رأت منه مناً عليهما بعد مساعدتهما، ولذا فلسنا فى حاجة إلى هذه الروايات الطويلة الواردة فى كتب التفسير التى تصور قوة موسى عليه السلام وعفته وأمانته، وإنما هذا:

(تكلف لاداعى له، ودفع لريبة لاوجود لها، وموسى عليه السلام عفيف النظر، نظيف الحس، والفتاة كذلك، والعفة والأمانة لاتحتاجان لكل هذا التكلف عند لقاء رجل وامرأة، فالعفة تنضح فى التصرف العادي البسيط، بلا تكلف ولااصطناع)[١١٢].

ولاشك فى أن قولها: القوي الأمين (كلام حكيم، جامع، لامزيد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان: الكفاية والأمانة اللتين هما ثمرتا الكياسة والديانة فى الذى يقوم بأمرك فقد حصل كمالك، وكمل فراغك)[١١٣].

ووافق الرجل الصالح على اقتراح ابنته، وقد قدمت لرأيها من الأسباب ما يجعله محل قبول، لكن الأب الحصيف الصالح التقى، يعلم أن عمل رجل غريب فى بيته لرعى غنمه سيكون مدعاة للخروج والدخول، ورؤية بنتيه شاء أم أبى، وأمور الحياة لابد فيها – بهذا الشكل أو على هذه الصورة – من اختلاط قد لاتحمد عقباه، وهنا يتقدم هذا الرجل الصالح بعرض يعرضه على موسى عليه السلام قائلا: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (القصص ٢٧).

وهكذا فى ثقة واضحة، وصراحة بينة، يعرض الرجل الصالح على موسى عليه السلام الزواج من إحدى ابنتيه، وهو عرض ينم عن فراسة وذكاء وينم أيضا عن صلاح وتقوى (لأنه يعرض نكاحا لايخجل منه، يعرض بناء أسرة وإقامة بيت، وليس فى هذا ما يخجل، ولا ما يدعو إلى التحرج والتردد والإيماء من بعيد، والتصنع والتكلف، مما يشاهد فى البيئة التى تنحرف عن سواء الفطرة، وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة، تمنع الوالد أو ولى الأمر من التقدم لمن يرتضى خلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قريبته؛ وتحتم أن أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذى يتقدم!!

---

(١١٢) فى ظلال القرآن ٥/ ٢٦٩٠، وقصص الرحمن ٣/ ٥٩.
(١١٣) غرائب الفرقان٢٠/ ٤١.

ولقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتم هذ ا فى صراحة ونظافة وأدب جميل، لاتخدش معه كرامة ولاحياء. عرض عمر ابنته على أبى بكر فسكت، وعلى عثمان فاعتذر، وعلى رسول الله فقبل..)[١١٤].

وكان عمل موسى عليه السلام عند هذا الرجل الصالح فى رعي الغنم– لمدة ثمانى سنوات، أو عشر سنوات – هو الصداق الذى طلبه هذا الرجل الصالح لابنته، ووافق موسى عليه السلام على هذا الصداق، قائلا مابينته الآية: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

ولموسى عليه السلام حق الاختيار فى إتمام العشر أو الاقتصار على الثمانى، وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بأن موسى عليه السلام قد أتم السنوات العشر[١١٥].

ومن الملاحظ: أن الجو الذى تم فيه هذا العقد المبارك تحوطه التقوى، ويرفرف عليه الصلاح، نلمح ذلك فى قول الرجل الصالح حمى موسى عليه السلام ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وفى قول موسى عليه السلام ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

وبهذه المعانى الروحانية، وفى تلك الحياة الهادئة بدأ موسى عليه السلام رحلة التأمل فى كون الله من خلال القيام بمهمة رعى الغنم، ليتهيأ بعد ذلك لرعاية وقيادة بني إسرائيل، وهكذا ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم، كما قال صلى الله عليه وسلم. [١١٦].

---

(١١٤) قصص الرحمن فى ظلال القرآن ٣/ ٦٠(بتصرف).
(١١٥) كما ورد فى صحيح البخاري ٥/ ٢١٤، ٢١٣.
(١١٦) كما ورد فى صحيح البخاري كتاب الأطعمة حديث رقم (٥٠٣٣).

الخاتمة

لانجد فى قصة موسى عليه السلام – في القرآن الكريم – ذكراً لأسماء الأشخاص سوى شخصين اثنين فقط، هما: موسى وهارون عليهما السلام، وأما فى العهد القديم: فقد ذكرت أسماء كثيرة منها: أسماء آباء موسى عليهم السلام، واسم أمه، وأخته، وأخيه، وفى ذلك دلالة على أن القرآن يقصد دوماً الوصول إلى العبرة والعظة، على عكس العهد القديم.

وفى العهد القديم تفصيل وبيان لكيفية تنفيذ الأمر الفرعونى الجائر بذبح ذكور بنى إسرائيل واستحاء نسائهم، ولم تسلم الرواية التى ذكرت بهذا الصدد من النقد الذى أظهر التناقض فى مضمونها، وأما فى القرآن الكريم: فقد أشارت بعض الآيات فى سورتى البقرة، وإبراهيم إلى مسألة الأمر الفرعونى بالذبح دونما الدخول فى تفاصيل ذلك. وفى هذه المسألة تبين لنا من خلال البحث كم أضافت بعض التفاسير القديمة من روايات إسرائيلية كان مصدرها كتب أهل الكتاب.

كما أظهرت المقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم حول أم موسى عليه السلام، ودورها فى حياته، ما أصاب هذا الدور من تبديل وتحريف فى روايات العهد القديم؛ حتى صار دوراً باهتاً لايعدو الجانب المادى فى حياته عليه السلام، بل تخلو روايات العهد القديم تماماً من الحديث عن الوحى الإلهى لأم موسى عليه السلام، وبذلك أغفلت الجانب الإيمانى تماماً فى حياتها، بل لانجد أي إشارة ببشارتها بنبوة ابنها، وكان لسيطرة الروح المادية لكاتب روايات العهد القديم أثرها، فصرنا لا نجد فيها أي صدى للقدرة الإلهية فى حفظ موسى عليه السلام، أو توجيه أمه، وكذلك اختصرت روايات العهد القديم – على غير العادة – دور أخت موسى عليه السلام، مع عدم تبرير للعلاقة المفاجئة التى ظهرت بينها وبين ابنة فرعون، مع التفصيل والتضخيم لدور هذه الأخيرة.

ومن ناحية أخرى لانجد دوراً ولاذكراً لامرأة فرعون فى حياة موسى عليه

السلام فى العهد القديم، وإنما تم تبديل هذا الدور وتحويره وتحريفه ونسبته لابنة فرعون بدلا من امرأته!

وأما فى القرآن الكريم: فقد أبرزت الآيات القرآنية القدرة الإلهية فى توجيه أم موسى عليه السلام فى كل خطوة من خطواتها، فى مسألة إخفاء موسى عليه السلام، لإنجائه من الأمر الفرعونى بالذبح؛ ولذلك كانت الروح الإيمانية، والإذعان والطاعة لله رب العالمين من أهم صفات أم موسى عليه السلام فى هذه المسألة، ونص القرآن على البشارة الإلهية بنبوة موسى عليه السلام، وإرساله لبنى إسرائيل، كما وصف القرآن الكريم أخت موسى بصفات الدقة والمهارة واللباقة فى حفظ أخيها موسى؛ لتكون سبباً فى نجاته أيضاً.

وفى القرآن الكريم نجد دوراً بارزاً لزوجة فرعون فى إبقاء موسى عليه السلام فى حضانتها، وطلب المرضعات له فى قصر فرعون، واتخاذه ولداً، وكان ذلك من أسباب نجاته أيضاً. وقد أظهر البحث – أيضا – فى هذه المسائل ما جلبه المفسرون من روايات إسرائيلية، وبخاصة فيما يتعلق بحمل أم موسى بموسى عليه السلام، وإلقائه فى اليم، وإرضاعه، ودور أخته، ودور امرأة فرعون فى حياته، بل ودور ابنة فرعون التى لم يجر لها ذكر فى القرآن الكريم أصلا.

وفى المبحث الثانى الذى جعلناه تحت عنوان: (موسى عليه السلام فى قصر فرعون) ارتكز هذا المبحث على مسألتين هامتين:

الأولى: عقدة اللسان التى أصابت موسى عليه السلام، وقد أثبت البحث اتفاق العهد القديم والقرآن الكريم على وجود هذه العقدة فلا خلاف فى وجودها، وإنما كان الخلاف فى سببها، ومع أننا لانجد فى العهد القديم، ولا فى القرآن الكريم، بل ولا فى صحيح السنة ذكراً لسبب هذه العقدة، إلا أننا وجدنا خلافاً طويلاً بين المفسرين فى بيان سببها، معتمدين فى ذلك على الروايات الإسرائيلية فقط، مما جعلنا ننبه على أنه كان ينبغي البحث فى أن هذه العقدة جعلها الله سبباً من أسباب نجاة موسى عليه السلام من الذبح فى قصر فرعون، وسببا من أسباب مشاركة هارون لأخيه موسى فى تبليغ الرسالة لفرعون.

وأما المسألة الثانية: وهى قتل موسى عليه السلام للقبطى خطأ، وقد وصل البحث فيها إلى عدة نتائج من أهمها:

- إن هذه الحدث وقع قبل النبوة لابعدها، وقد ذكرنا من الأدلة ما يؤكد ذلك.
- إن موسى عليه السلام عاش فى قصر فرعون منذ طفولته حتى شبابه، ولكنه فى نهاية شبابه كان قد ضاق ذرعاً بما رآه من ظلم وبطش فى قصر فرعون فأخذ يهجر القصر رويداً رويداً، ويتصل بالعبرانيين من بنى قومه.
- إن اختلاف الديانة فى المجتمع المصرى كان سبباً فى وقوع بعض المشاجرات بين العبرانيين – قوم موسى – وبين المصريين – القبط – قوم فرعون، وربما تدخل موسى لفض مثل هذه المشاجرات.
- لم يعمد موسى عليه السلام إلى قتل هذا القبطي، وما نوى عليه، ولا خطط له، وإنما وكزه؛ ليمنعه من الشجار، فكان حتفه فى هذه الوكزة، وهذا من الابتلاء والفتون التى فتن الله بها موسى عليه السلام.
- وفى القرآن بيان لنتيجة هذا الابتلاء فى شخصية موسى عليه السلام فهى الشخصية الخائفة المتضرعة المستغفرة لله سبحانه وتعالى، وهنا لابد من الإشارة إلى ما ورد فى العهد القديم من تحريف وتبديل فى تصوير شخصية موسى عليه السلام وهو كليم الله، فقد صورته بالشخصية الماكرة الانتهازية التى تخطط للجريمة وتخفيها بعد ارتكابها، دونما اكتراث أو خوف من الله سبحانه وتعالى، أو حتى ندم على ما فعل، وإنما ادعى كاتب العهد القديم على موسى – كذبا – أنه (طمر القبطي فى الرمل بعدما قتله).
- وتوصل هذا المبحث إلى عدة أسباب تبين هم موسى عليه السلام بقتل قبطى آخر منها: تطلعه لنصرة المظلومين فى حكم فرعون من بنى قومه وشخصيته عليه السلام التى تأبى رؤية المنكر دونما التدخل لتغييره والقدرة الإلهية التى تريد من الابتلاءات لهذا النبى الكريم ما يؤهله لقيادة بنى إسرائيل الذين اعتادوا الذلة والصغار فى حكم فرعون.

- وفى القرآن الكريم نجد القدرة الإلهية واضحة فى نجاة موسى عليه السلام للمرة الثالثة من القتل على يدى فرعون؛ وذلك عن طريق الرجل الصالح الذى ساقه الله له لينصحه بالهرب.

وفى المبحث الثالث الذى جعلناه تحت عنوان: (موسى عليه السلام فى مدين) كشفت المقارنة بين آيات القرآن وروايات العهد القديم عما حدث فى هذه الروايات من تناقض فى حديثها عن كاهن مدين، وعن بناته وعددهن، وموقفهن من موسى عليه السلام.

وتبن لنا كذلك ضعف كثير من الروايات التى وردت فى كتب التفسير والتاريخ حول قوة موسى البدنية فى سقياه لغنم المرأتين، وكذلك تمحل الأسباب المظهرة لأمانته عليه السلام، وبينا أن شخصية موسى عليه السلام – الذى قال عنه ربه: (ولتصنع على عينى) لاتحتاج إلى كل هذه المبالغات.

وأخيراً فلعل هذا البحث قد وصل إلى ما قصدت إليه منه، فإن كان كذلك فذلك فضل من الله وحده، وإن كانت الأخرى فمن نفسى والشيطان، أعاذنا الله منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

١ – الإسرائيليات فى تفسير الطبرى – د/آمال ربيع – دار الثقافة العربية – القاهرة – ١٤٢٠هـ.

٢ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للبيضاوى – المطبعة التجارية الكبرى – القاهرة – د. ت.

٣ – أولو العزم من الرسل – د/طه وادي – دار النشر للجامعات – مصر – الطبعة الثانية – ١٤١٨هـ.

٤ – تاريخ الأمم والملوك للطبرى – دار المعرفة – بيروت – لبنان – د. ت.

٥ – تاريخ التربية والتعليم – د/سعد مرسي أحمد وآخرون – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٨٥م.

٦ – التراث الإسرائيلى فى العهد القديم وموقف القرآن منه – د/صابر طعيمة – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٣٩٩هـ.

٧ – التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوى – دار الفكر المعاصرة بيروت – دمشق – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ.

٨ – تفسير السدي الكبير – تحقيق د/محمد عطا – دار الوفاء – مصر – ١٤١٤هـ.

٩ – تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤١٠هـ.

١٠ – التوراة تاريخها وغاياتها – ترجمة وتعليق سهيل الديب – دار النفائس – بيروت – لبنان – الطبعة السابعة – ١٤١٣هـ.

١١ – تيسير مصطلح الحديث – د /محمود الطحان – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الثامنة – ١٤٠٧هـ.

١٢ – الجامع لأحكام القرآن – القرطبى – الطبعة الأولى – دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٣٦٥هـ.

١٣ – جامع البيان عن تأويل آى القرآن – الطبرى – تحقيق محمود شاكر – دار المعارف – مصر – ١٩٦٩م – وطبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤٠٧هـ.

١٤ – الدر المنثورفى التفسير بالمأثور للسيوطى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ.

١٥ – السنن الكبرى – للنسائى – تحقيق – د/عبد الغفار البنداري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ.

١٦ – صحيح البخارى – تحقيق مصطفى البغا – دار ابن كثير – مصر ١٩٨٧.

١٧ – صحيح مسلم – دار إحياء التراث العربى – مصر – ١٩٨٥.

١٨ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان – للنيسابورى – مطبوع على حاشية جامع البيان طبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان – ١٤٠٧هـ.

١٩ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى – لابن حجر العسقلانى – تحقيق عبد العزيز بن باز – دار المعرفة بيروت – لبنان – د. ت.

٢٠ – فى ظلال القرآن – سيد قطب – الطبعة التاسعة والعشرون – دار الشروق – مصر – ١٤١٥هـ.

٢١ – قصص الأنبياء – لابن كثير – تحقيق د/السيد الجميلي – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – ١٤١٠هـ.

٢٢ – قصص الأنبياء – د/عبد الوهاب النجار – دار التراث – مصر – ١٩٧٨.

٢٣ – قصص الرحمن فى ظلال القرآن – أحمد الحمصي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ.

٢٤ – قصص القرآن – محمد جاد المولى – دار التراث – مصر – ١٩٧٨م.

٢٥ – الكتاب المقدس – دار الكتاب المقد س فى الشرق الأوسط – د. ت.

٢٦ – مسند أبى يعلى الموصلى – دار المأمون للتراث – تحقيق حسن سليم أسد – دمشق الطبعة الأولى – ١٤٠٤هـ.

٢٧ – مسند أحمد – المكتب الإسلامى – بيروت – لبنان – ١٩٨٥م.

٢٨ – مجمع الزوائد للهيثمى – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ١٤٠٨هـ.

٢٩ – مع الأنبياء فى القرآن الكريم – عفيف عبد الفتاح طبارة – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ١٩٨٥م.

٣٠ – معالم التنزيل – للبغوي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – ١٤١٥هـ.

٣١ – المفردات فى غريب القرآن – الراغب الأصفهانى – تحقيق محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان – د. ت).

٣٢ – منهج التخطيط الإداري فى قصة نبي الله يوسف عليه السلام – د/نواف الحليسى – إدارة البحوث العلمية – الرياض – ١٤١٧هـ.

٣٣ – النكت والعيون تفسير الماوردي – للماوردي – مكتبة المؤيد – الرياض – ١٤١٢هـ.